بين يدي الشفاعة

مضمون الإختلاف بعد سنوات من الخلاف
ردًا على كتاب دكتور مصطفى محمود (الشفاعة)

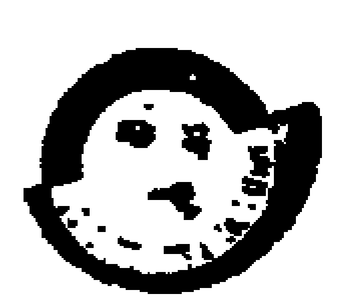
محمد فيّاض

إهـــــــداء ٢٠١٠
دار الكتب و الوثائق القومية
جمهورية مصر العربية

بين يدي الشفاعة

محمد فيَّاض

بين يدي الشفاعة
محمد فيّاض
الطبعة الأولى - ٢٠٠٩



دار إيزيس للفنون والنشر

القاهرة - ١٢أ شارع طه حسين - الزمالك
هاتف : ٢٧٣٦١٣٦١(٠٢)
محمول : ٠١١٠٨٧٠٤٩٩
٠١١٢٦٩٥١٩٥
بريد الكتروني : dar_isis@yahoo.com

تصميم الغلاف :
كريم متولي

المدير العام :
سوزان التميمي

رقم الإيداع: ٢١٤٧٤/٢٠٠٩

I.S.B.N : ٩٧٨-٩٧٧-٦٣٦٧-٠١-٢

٢٠٠٩

إهـــــداء

إلي... الإنسان الذي ما إنْ فتحتُ عيني على أول شيءٍ في حياتي
لم أجدْهُ..
لكني اكتشفتُ فيما بعد أنّه نسي بصماتِه علي كـــل الأشـــياء في
حياتي.
وإلي السراجِ ؛ الذي حاولتْ يدُ الغُربةِ أنْ تُطفئَهُ...
فازدادَ نورُه !!

محمد فياض،

مقدمه ...

الحمد لله ربِّ العالمين..إنَّ الحمد لله وحده ؛ نحمده ونستعين به على حوائج الآخرة والدنيا ونعوذ به سبحانه من سيئات أعمالنا ومن شرور ضمائرنا.. ؛ سبحانه لم يتخذ صاحبة ولم يكن له ولدا ليس معه شريك في الملك، وما كان معه من إلهٍ أحدا، لا إله إلا هو، لا خالق غيره ، لا رب سواه ، ولا مُستحق للعبادة دونه، واحدٌ أحدٌ وفردٌ صمدٌ..قضى لنفسه بالعبادة دون غيره فقال والحق قوله **(وَقَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُواْ إلاَّ إيَّاهُ)** (الإسراء :٢٣) ؛ وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه من خيرة خلقه وحبيبه، أشهد أنه قد أدّى الأمانة خير أداءٍ ، وبلّغ الرسالة أيّما تبليغ، ونصح الأمة نصحاً، وكشف الله به الغمة، جاهد في سبيل ربه حتى أجاب مناديه، عاش حياته يعلم أمته ويقشع ظلامها بيده الشريفة ويلتمس لها الخلاص؛ قال عنه ربه **(لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)** (التوبة:١٢٨) طحن أشواك الأسى والعناد بقدمه حتى زلّلها؛ وداس على جمرات الشرك حتى أخمدها ؛ وقاد سفينة الإسلام حتى أرست على شاطىء الأمان ؛ أرشد التائهين وأراح صدور

الحائرين ونشر نور الحق المبين كما تنشر الشمسُ ضياءها في رابعة النهار رغم أنف المشركين..فاللهم اجزهِ عنا خير ما جازيت نبيّاً عن أمته، ورسولاً عن رسالته، وآتهِ الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدتَ ؛ إنك غيرُ مُخلفٍ وعدك ؛ وصلّي اللهم وسلم وبارك علي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته واقتفى أثره إلي يوم الدين.

وبعد...

فلا شك أن الله تعالى قد أطلعنا على كثير من علمه وبيَّن لنا كثيرا من حكمته.. ولا عجب أن الله تعالى - رغم ما علّمنا وما بيَّن لنا - يكون قد أخفى علينا من علمه أكثر مما علِمْنا ومن حكمته أعمقَ مما فهمْنا.

فقد اختلف الناس منذ القِدم حول قضايا عديدة لم تحُسم بعد ولا أظنها تحسم يوماً..حتى تنجلي العتمة وينقشع الظلام وتكشف البصائر؛ يوم العرض على الملك ، مثلما كان الجدل حول قضيةٍ مثل الجبر والإختيار وهل الإنسان مُسيّر أم مُخيّر؟ مدفوعٌ إلي الشر غيرُ آثمٍ ، أم مجبرٌ على الخير لا بطل ؟ أمّا أنْ يكونَ الاختلاف هو اختلافٌ حول ما أسمّيه (لا قضية) فهذه هي القضية..

فالشفاعة في كل أشكالها وجميع حالتها لمْ يدّعِ أحدٌ بأنها محل خلاف أو أنها قضية مطروحة للنقاش والإجتهاد للأخذ بالنفي أو الوقوف على الإثبات ؛ بيد أنها بالطبع مرطوحة للتوضيح والشرح والبيان والتبيين..فإذا قلنا : إن القرآن الكريم ينفي الشفاعة ويثبتها ؛ فإنما نفاها عمن لا يستحقها وليس أهلاً لها..وأثبتها لمن كان جديرا بها مُستحِقا لها ؛ كذلك كما وجود النار والجنة ؛ ففريقٌ في هذه وفريقٌ في تلك...فما القضية إذن ؟! الجواب هو ما أسميتُه آنفا (**لا قضية**) وليست التسمية تعني أنه لا موضوع ؛ ولكنها تعني أن لا مجال للإختلاف..فالعقل البشري فُطرَ على عدم قبول الضدين فهو يقبَلُ ما تشابه وما لم يتنافر ؛ أما عند الضدين فهو يقف حائراً يحتاج لأحدهما دون الآخر...

وإذا كان د / مصطفي محمود يري– من وجهة نظره في كتابه (**الشفاعة**) – أن القرآن يُقرُّ الشفاعة وينفيها ؛ فماذا يفعل العقل أمام القرآن ؟! لابد وأن نتدبر في كل آية تتحدث عن موضوع الشفاعة..عمن تتحدث الآية ؟ وما معني نفيها اللفظي للشفاعة ؟ وما شكل ومعنى هذه الشفاعة التي نفتها الآية الكريمة ؟ وما سبب حجب الشفاعة عن هؤلاء المُتحدث عنهم في الآية الكريمة ؟ حتى لا نكون – مثالاً تخيليا – كمن تعرّض للآية الكريمة التى تقول : **{قالوا يا**

وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الـــرَّحْمَنُ وَصَـــدَقَ الْمُرْسَلُونَ) (يس:٥٢) فأخذ منها جــزءا (هَـــذَا مَـــا وَعَـــدَ الرَّحْمَنُ) ولم يكتفِ بذلك بل فهم أن (ما) أداة نفي؛ فيكـــون الخطأ ثلاثا ؛ الأول : تقسيم الآية الكريمة إلي أجزاء متفرقة رغم أنها آية واحدة تخبرنا بمعني واحد مـــرتبط ببعضـــه البعض، الثاني : جعل الاسم الموصـــول (مـــا) أداة نفـــي فتحوّل المعني من الضد إلي ضده والثالث : أنه إذا وَصَـــلَ الآية علي فهمه المغلوط فسيفهم أن هذا لم يعِدْ به الله تعالى وأن المرسلون قد صدّقوا علي هذا النفي (أي أنـــه ســـيزيد الطينَ بلة) .. كان هذا مثالا تخيليًا مني لتصوير بعض مـــا قرأته عن شرح بعض آيات الشفاعة في بعض الكتب.

والله أسأل أن يجعل هذا العمـــل خالصـــاً لنـــور وجهـــه الكريم..ابتغاءًا لمرضاته وحده ؛ استيفاءًا لشـــروط قبـــول شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم..سبحانه وتعالى إنه نعـــم المولى وإنه نعم النصير.

داعينــــه ســـبحانه وراجينــــه أن يغفـــر للمرحـــوم الدكتور/مصطفى محمود – ما وقع فيه مـــن خطـــأ وأن يضاعف له حسناته وأن يتغاضى عن زلاته.

وأول قولنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

محمد فيَّاض

دكتور مصطفى محمود ..

علي مرّ التاريخ وتغاير العصـــور تتقلـــبُ الأفكـــار وتتبدّلُ الأسماء ؛ فنجومٌ تظهرُ وأخرى تأفل..بينمـــا دورة الزمان الدائرة لا تتوقف أبداً ؛ نظل فيها نقتفي الآثار تلـــو الآثار؛ نتشبّثُ بخيوط الأمل وأطواق النجـــاة فـــي رحلـــة الحياة الدنيا المليئة بالجهد والمشقة والعناء..بين الأمـــواج الهائجة والعقبات الصِعاب وابتلاءات رب الأرباب؛ آملين أن نصل إلي شاطيء الســـلامة وبـــر الأمـــان ؛ هنـــاك فقط..ندركُ حجم الهدية التى بعث الله تعالى بها إلينا...

رحم الله الدكتور مصطفى محمود الذي ظهر نجماً ســطع طويلاً في سماء العلوم ثم أفل ؛ لكنَّ نورَه ما انطفأ بعـــد ؛ فالنجم يظل يضييء مكانا مرَّ به رغم غيابه زمنا ؛ ويظل الطريق مظلما إلي أن تنيره الشموع ؛ تلك الشموع التـــي تحترقُ – راضية بما تفعل – فتدفعُ حياتها ثمنـــاً لفـــاتورة سعادتنا بنور الليالي؛ هذه الشموع هي التي نتـــأثر جـــداً لفقدانها ؛ فما أن تنتهي الشمعة حتي يظلم الطريـــقُ مـــرة أخرى، ونظل طويلاً نبحثُ عن شمعة أخري فـــي ظلمـــة الطريق الطويل حتي نعوّض تلك الشمعة المفقودة...

بالأمس القريب فقدتْ سماءُ العلمِ نجماً لطالما أضاءَ عنـــد كل مساء ، وفقدَ المجتهدون رجلاً فتح لنا ذخـــائر العلـــم

المغلقة .. فحفر اسمه بخط يده في ضمير تاريخ الإنسانية انتقل إلى جوار ربه الغفور الرحيم ، الذي فطر عقله على حبِّ المعرفة وعمق التدبر...

أعتقد أنَّ الطريق سيظل مضيئاً ما دامت الشموع تحتـــرق علي جانبيه .. احترقت شمعته فأنارت جانبي الطريق ... وستظل تنيره زمناً.

نسأل الله له الرحمة والمغفرة والصفحَ والمنَّ والشفاعة.

محمد

القاريء الكريم :

رغم مرور عشرة أعوام كاملة علي صدور كتاب (الشفاعة) - للمغفور له بإذن الله - الدكتور مصطفى محمود فقد قررت الرد عليه الآن!

ورغم صدور عِدّة كتب للرد علي نفس الكتاب .. بيدَ أنني هنا وبعد أن اطلعتُ على أكثرها وجدتُ أن الكتب التي اطلعت عليها كانت ذاتَ طابعٍ قاسٍ جداً في أسلوب ردها ؛ ووجدتُ أنها تتبنى أساليب توبيخ لا محاولةَ تصحيح ! وكأنَّ الدكتور مصطفي محمود ما كتب في حياته غير كتاب (الشفاعة) ، أو كأنَّ كتابه يحمل كفراً وليس خطأ وكأنَّه ما دافع عن الدين زمنا طويلا ؛ وكأنَّه ما حمل بين ضلوعه قلبا موحدا بالله بعد أن قطع الطريق الشائكة في رحلته إليه سبحانه ؛ أو كأنَّه قال في كتابه : أنا ربكم الأعلى .. فقد بدأ الرجل كتابه بقوله (ما أقدمه في هذا الكتاب هو محاولة لفهم وإجتهاد قد يصيب وقد يخطيء ولا أدعي لنفسي كمالا ولا عصمة وأري أنه من حق كل قاريء أن يختلف معي وأن يفهم القضية علي طريقته فقد أردانا الله أحرارا وأرادنا أن نتدبر آياته ونتفهم قرآنه ، كلٌّ علي قدر طاقته .. والله وحده صاحب العلم الكامل ورضاه هو منتهى رجائنا..وغاية غايتنا أن نسجد ونقترب)

الدكتور مصطفى محمود الذي تحدث في برنامجه – الذي اختفى! – (العلم والإيمان) قبل خمسة وعشرين عاما كاملة عن مرض (انفلونزا الخنازير) وحذّر منه وقتها وقال : إن المرض سيهاجم العالم ويهدد حياة البشرية كلها في يوم من الأيام .. الدكتور مصطفى محمود الذي كان علي رأس قائمة المطلوبين من قِبَل إسرائيل رغم أنها لم تحتجْ ولم تطلبْ أيًا من الذين يهتفون ليلاً ونهاراً بسقوط إسرائيل لأنها تعلم جيدا أنها مجرد هتافات خاوية ، أما هو فقد قاوم الصهيونية من خلال الفكر والعلم والفلسفة فألحق بهم هزائما في عدة مجالات لا ينكرها مُنكرٌ منهم ..

وإنصافا لمن أنصفه .. فإن الدكتور / نصر فريد واصل كان أحد القلة القليلة جدا الذين تعاملوا بحيادية مع موجة هذا الكتاب حينما قال بالنص (الدكتور مصطفى محمود رجل علم وفضل ومشهود له بالفصاحة والفهم وسعة الإطلاع والغيرة على الإسلام فما أكثر المواقف التي أشهر قلمه فيها للدفاع عن الإسلام والمسلمين والذود عن حياض الدين ، وكم عمل على تنقية الشريعة الإسلاميّة من الشوائب التي علقت بها وشهدت له المحافل التي صال فيها وجال دفاعا عن الدين) .

ولستُ هنا دفاعا عن د / مصـــطفي محمـــود ولا ضـــده كشخص ولكن للرد علي ما ورد بكتابه بشكل قـــد يكـــون مُغايرا عن كل ما قرأته...

وبالطبع فقد يكون في كتابي هذا عِـــدّة أخطـــاء ، ولكـــن ساعتها يكون حسبي منه أني اجتهدت فيه قدر طـــاقتي.. وجعلته ابتغاءَ وجه ربي.

والله اسأل أن يجعل هذا الجهد الضنين خالصاً لنور وجهه الكريم.

وأن يجعلنا ممن قال فيهم (**... سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّـــنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِـــي الْإِنجِيـــلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُـــوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّـــذِينَ آمَنُـــوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**) (الفتح:٢٩)

وألا يجعلنا ممن قال فيهم (**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**) (القلم:٤٢)

والله المستعان...

مفهوم الشفاعة لغة واصطلاحاً ودينياً :

في اللغة : شَفَعَ شفعا، الشيء صيّره شفعا أي زوجا بأن يضيف إليه مثله، يقال كان وتراً فشفعه بآخر أي قرنه به ؛ وتقول: شُفِعَ لي الأشخاص أي أرى الشخص شخصين لضعف بصري ، وشَفَعَ شفاعةَ لفلان ، أو فيه إلى زيد : طلب من زيد أن يعاونه وشفعَ عليه بالعداوة : أعان عليه وضادّهُ وتشفع لي وإليَّ بفلان أو في فلان : طلب شفاعتي ...وجاء في لسان العرب لابن منظور : شَفَعَ ؛ الشَّفْعُ خلاف الوَتْر ، وهو الزوج تقول : كان وَتْراً فشَفَعْتُهُ شَفْعاً ؛ و شَفَعَ الوَتْر من العدد شَفْعاً : صيَّره زوجاً وتقول : إنَّ فلاناً ليَشْفَعُ لي بعَداوةٍ أي يضادُّني ، وشفع لي يَشْفَعُ شَفَاعة وَتَشَفَّعَ : طَلَبَ ، والشَّفيع : الشَّافع ، والجمع شفعاء واستشفع بفلان على فلان وتَشَفَّع له إليه فشفَّعَه فيه وقال الفارسي : استشفعه : طلب منه الشفاعة ، أي قال له كن لي شافعاً ؛ وفي التنزيل : من يَشْفَعْ شفاعةً حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ؛ وقرأ أبو الهيثم : من يَشْفَعُ شفاعة حسنة أي يزداد عملاً إلى عمل .. وروي عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى : من ذا الذي يشفع عنده إلاَّ بإذنه ، قالا الشفاعة هنا الدعاء ؛ وفي حديث الحدود : إذا بلغ الحدُّ السلطان فلعن

الله الشافع والمشفّع : وقد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة . وهـي السـؤال فـي التجاوز عن الذنوب والجرائم . وفي الحديث : الشّفعة في كل ما يُقسَم ؛ والشفعة في الملك مشتقة مـن الزيـادة لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه فيشفعه به كأنه كـان واحـدا وتراً فصار زوجـاً شَفعاً.

أما التعريف الاصطلاحي : فالشفاعة هي : السـؤال فـي التجاوز عن الذنوب أو هي : عبـارة عـن طلبـه مـن المشفوع إليه أو لديه أمراً للمشفوع له، وقد وردت مـادة الشفاعة في القرآن الكريم بعدة معاني نفياً وإثباتاً، فقد بلغ مجموع الآيات الشريفة التي تحدثت بصورة مباشرة عـن هذا المفهوم خمس وعشرين آية توزعت على ثمانية عشر سورة قرآنية شريفة ...

وأما التعريف الديني فهو : (طلب) العفو من الله سـبحانه للمذنبين يوم القيامة، من قِبل من أذن الله لهم بسؤال العفو وطلبه لهم.
ولم يَرد في القرآن الكريم ما ينفي الشفاعة نفياً مطلقاً أبدا ؛ بل إن النفي دائما يكون متعلقا بشرط مـن الشـروط أو يكون وقع لسببٍ من الأسباب ؛ وبالتالي فهو نفي وحرمان

لفئة محددة من الفئات التي توافرت فيها أسباب النفـــي أو شروط الحرمان ؛ وبالتالي فهذا يعني وجوب الشفاعة لمن توافرت فيهم شروط استحقاقها وانعـــدمت فـــيهم أســـباب الحرمان منها...أما المحرومون منها فهم من وقعوا فـــي دائرة التعريف بـــ(الكفر) ؛ وبالطبع فإن المرحومون بهـــا فهم الذين دخلوا دائرة التعريف بـــ (الإيمان)..

ومثال لذلك قوله تعالى : **(وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُم لَعِبـــاً وَلَهواً وَغَرَّتهُمُ الحَيَوةُ الدُّنيَا وَذَكِّر بِهِ أن تُبسَلَ نَفسٌ بِمَا كَسَبَت لَيسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلاشَفِيعٌ وَإن تَعدِلْ كُلَّ عَدلٍ لا يُؤخَذ مِنهَآ...)** (الأنعام:٧٠) والحرمان من نيـــل الشفاعة كما ورد في الآية واضح بأسبابه.. فهـــو للـــذينَ اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الـــدنيا...إذن مـــن اتخذ دينه مأخذ الجد ولم تلهه دنياه عن آخرته فقد انتفـــي عنه سبب الحرمان من الشفاعة وبالتالي فقد تم لها أسباب نيلها.. ومن هذا المنطلق تحديداً فنحن بصدد الرد علي ما جاء في كتاب (الشفاعة) للمشفوع له بإذن من الله تعالى د / مصطفي محمود.

وبالله التوفيق...؛

يقول د / مصطفى محمود في كتابه:

{ (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ عَلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (الأنبياء: ٢٧-٢٨)

إن الخشية والرهبة والفزع هى الحالة العامة في هذا اليوم.

وهم (أى الملائكة) أهل خشية يتهامسون ولا يتكلمون ولا يتدخلون إلا إذا علموا أن الله قد رضى عن فلان ..حينئذ يشفعون له..فشفاعتهم تأتي تاليه لأمر الله وليست سابقة عليه..فهي أشبه بالبشارة والتهنئة لصاحب النصيب وحاشا لله أن يتدخل أحدهم ليعدل من حكم الله أو أن يسبقه بالقول..فهذا محال والمعنى صريح أن الشفاعة لله جميعا وأنه سبحانه منفرد بها وأنه لا يشرك أحدا وبالتالي يكون إخراج أحد من النار وقد صدر عليه حكما هو أمر مستحيل ؛ والله يتحدث عن غيبٍ هو وحده الذى يعلمه وليس لنا ولا للبخارى أن نضيف من عندنا ولو حرفا واحدا.

وما حدث من تدهور حالة المسلمين سببه هو هذا اللون من الشرك الخفى ... قبول أن يكون لله تعالي شريك في حكمه يشفع عنده ليخرج من أدخله النار} .

وأقول :

أولاً: لقد نفى الشفاعة هنا بالكلية .. وترجمَ معنى وجــود شافع عند الله أنه مشاركة له سبحانه في ملكه .. وهذا غير مقبول لأن الشريك يحكم علي قدر نصيبه ونسبته المئويــة في الشركة وهو ليس بحاجة إلى الرجوع للشريك الآخــر ليستشفعه في حق أحد ، فهــل مــن جــاء لله مُستشــفِعاً ومُستجديا وطالبا للرحمة والعفو والسماح منه جل وعلا ؛ هل يكون قد شاركه في ملكه ؟! هل من يأتى إلــي بــاب بيتك يطلب منك رغيف خبز- ولك أن تعطيه أو تمنعه – يكون قد شاركك في قوتك ؟!

هل شريكك فى المصنع يأتى إليك بأحدٍ ويستجديك لتجد له فرصة عمل في المصنع الذى له نصفه كما لك نصفه؟!

هل أنت شريك في (فرن) العيش وتقف فى الطابور حتى يأتي دورك ؟!

إنك لو كنت شريكا فى المصنع لعيَّنــتَ مــن تريــد دون الرجوع إلى الشريك الآخر لأنك تملك مثــل مــا يملــك شريكك..ولو كنت شريكا في (فرن) العيش لذهب الخبــز فى كل صباح إلي بيتك.

إذن من جاء الله تعالى يستشفع عنده لأمته أن يعاملهــا الله تعالي بإحسانه وفضله قبل قسطه وعدله ليس شريكاً لله ..

بل هي قمة العبودية في قمة التكريم لصـــاحب الشـــفاعة وقمة الرحمة والرأفة والكرم من الله جل في ثنائه وتقدست أسماؤه .. سبحانه ليس كمثله شيء وهو نـــور الســـموات والأرض.

إذن نحن نخلص بالدليل العقلي إلى أن وجود شافع لـــدى ربنا سبحانه وتعالى ليس معناه مشاركته لله تعالى في ملكه بل هو دليل علي عظمة مكانتة عند ربه ورحمة الله ولطفه بالمشفوع لهم.

ثانياً: معني البشارة من الملائكة لمن رضـــي الله عـــنهم معنى مقبول ولا ضير فيه.. ولكن إذا كان هذا المعنى هو شكل للشفاعة فلا شك أن للشفاعة أشكالا ومواقف أخـــرى غير مجرد البشرى...فهو مشهد عظيم ويوم تشيب لهولـــه الولدان وموقف أصعب مما يتخيل العقل البشرى ومجـــرد البشرى فى يوم كهذا وموقفٍ هذا هو شكله بأنك قد رضى الله عنك هذا فى حد ذاته قد شفع لك فيما بقي فـــي وقـــت العرض وأراح قلبك وأذهب همك وقلل من توترك وإن لم يكن بالكلية بل بالجزئية .. إذن هى شفاعة لك بتهوين مـــا بقى من الوقت فى يوم العرض إلى أن يـــأتى دورك فـــى الحساب والميزان. فهل تكون هذه هى كل أشكال الشفاعة التى ذكرها الرحمن الرحيم فى غير موضع ؟!

هل كل هذه الآيات القرآنية وكل هذه الأحاديث النبوية وكل هذه الكتب وتلك المقالات وهذه الآراء..هل كل هؤلاء جميعهم يتحدثون عن تلك البشرى فقط ؟!
التى هى أشبه بالإتيان بنتيجة طالب بالثانوية العامة من (الكنترول) وقبل ظهورها على الملأ بسويعات قليلة..أهذا معقول ؟! مع الفارق فى التشبيه.. ولله المثل الأعلى.
هل هذا الطالب الذى علم بنتيجته وأبشر بنجاحه قبل إعلان النتيجة على الملأ كان ليموتَ لو انتظر هذه السويعات المتبقية ؟! - وليست السويعات هنا تعني التشبيه الزمني لإنتظار النتيجة بزمن إنتظار العرض علي الملك يوم الحساب ولكن سنوات العمر كلها عندما نقيسها بالمقياس الجديد حيث الأبدية هناك سندرك أنها كمًّا مُهملا وصِفرا علي شمال الأبدية ؛ فالكل هناك سيقسمُ أنه ما لبس في الحياة الدنيا غير ساعة ؛ وسيكون قسما صادقا لأن المعيار الزمني الأولي قد اختلف مقارنة باللانهائية.
مصداقا لقول الله تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) (الروم : ٥٥)
(وَلاَ تَسْتَعْجِل لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) (الأحقاف: ٣٥) وكذلك قوله سبحانه (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (يونس : ٤٥)
والتشبيه فقط للتقريب والتبسيط والتوضيح- هل هذا الطالب الذى أبشرناه بنتيجته قبل الظهور ؛ هل هو الوحيد الناجح بين زملائه الذين لم يعرفوا نتيجتهم بعد ؟
هل من توسط له فى (الكنترول) لمعرفه نتيجته هذه قد مَنّ عليه بالنجاح أم بمجرد معرفه أنه نجح ؟
إذن ليست البشريِ هى كل أشكال الشفاعة ؛ ولا نشك في هذه البشرى ولكننا نعتقد بالشفاعة فى أشكال أخرى أيضا.
وفكرة الشفاعة فى مجملها ليست مرادفا للمحسوبية والوساطة؛ فالحاكم فى الدنيا الذى يقبل شفاعة شافع فى مجرم أو ظالم هو حاكم قد استبد فى حكمه وجار ومال عن الحق لأن المظلمة بها طرف ثالث؛ وقد جعل الحاكم من نفسة موكّلا عنه توكيلا عاما رسميا وتنازل بموجب هذا التوكيل عن حق ذلك المظلوم ... أما الشفاعة فى الآخرة فغير مقبولة بهذا الوصف لأنها تبدو للعقول السليمة أنها تغاضى من الله تعالى عن حقه هو سبحانه عندنا وغفرانه جل جلاله عن ذنوبنا وعفوه جل ثناؤه عن تقصيرنا فى حقه علينا ؛ فالطرف الثالث هنا غائب والمعادلة لها طرفان فقط هما رب الأرباب مع عبده ، إذن فليتعاملْ معه كيفما شاء وكيفما يرى ؛فلا راد لقضائه سبحانه وليس له شريك فى ملكه.

- ذات يوم ذهبت امرأة إلى سيدنا موسي عليه وعلي نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، قالت له يا موسى إني عقيمٌ فادعو لي ربك أن يرزقني بطفل؛ فكلم موسى ربه تكليما فقال له الملك: يا موسى لقد كتبتها عقيم ، فأخبر سيدنا موسى المرأة بما حدث .. فرجعت إليه بعد دهر ولم تيأسْ من رحمة الله وأعادت الكَرَّة من جديد وتكررت الحادثة لتنتهي بقول رب العالمين : يا موسى لقد كتبتها عقيم ؛ ثم يمضي دهر وتعود المرأة لتتكرر الحادثة بتفاصيلها الأولى.

وبعد فترة يقابل موسى عليه السلام تلك المرأة وعلى كتفها طفل فيتعجب ويسألها: من هذا: فتقول: ولدي! فيكلم موسى ربه متعجبا يا رب ألم تكتبها عقيم ؟! فقال له الحنان المنان الرحيم : يا موسى ... وعزتي وجلالي كلما كتبتها عقيم قالت: **يا رحيم** .. فأكتبها عقيم فتقول: **يا رحيم** فأكتبها عقيم فتقول: **يا رحيم يا رحيم يا رحيم** ... يا موسى رحمتي سبقت قدرتي ...

فكيف يا رب سبقت الرحمة القدرة ؟ إن حدث **سبق** الرحمة ذاته هو حدث يحتاج إلى قدرة فكيف يسبق ما هو محتاج إلى شيىء - يسبق - الشيىء ذاته ؟ فسبحانك ليس كمثلك شيىء ولا تحيط بك العقول.

ونحن نخلص من هذا بأن الملك الجبار فى عليائه ؛ رغم جبروته وقدرته فهو رحيمٌ رحيم... فما معنى تلك الرحمة ؟ وما تخلينا العقلي لها ؟ أنا أتخيل أن العفو هو قمة الرحمة وتاجها.. وأن الشفاعة هى الترجمة العملية لمعنى كلمة العفو ما دام ليس هناك مظلوم يقوم بدور الطرف الثالث وله حق لم يُقضَ بعد ؛ فصاحب الحق هو الجبار القادر وهو الغفور الودود..... **أفيعظمُ عليه أن يتنازل عن حقه؟!!**

ثالثا: إن قبول توبة العبد المذنب شيء فى حد ذاته يُعد شفاعة فى الدنيا ؛ بل إن سيئات هذا المذنب تتبدل حسنات ؛ إنها أعظم شفاعة دنيوية وأكبر تكريم؛ فهى صفح وغفران عما مضى وتسامح فيما انقضى .. هي تكريم ليس من العدل ولكنه من الفضل ؛ لأنه إذا كان من العدل أن تأخذ حقك فإن من الفضل أن تتنازل عنه ... فالله جل في علاه تنازل عن حقه للعبد التائب وقبل توبته وشفع له فى دنياه قبل آخرته وتفضل عليه بتبديل السيئات حسنات.... **فهل من جاد بتلك الشفاعة فى دار الفناء كان ليضنَ بها في دار البقاء ؟!!**

وعن إستغفار الملائكة أيضا للمؤمنين وطلب الشفاعة لهم يقول الحق تعالى (**وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ**

كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ) (غافر:٦-١٠)

توضح الآيات أن مصير الكافرين إلى النار لا محالة. وأن الملائكة المكلفين بتدبير أمور العرش والمحيطين به كلهم يسبحون الله ويحمدونه ويؤمنون به حق الإيمان ويستغفرون للذين آمنوا من بنى البشر ويدعون ربهم صاحب الرحمة الواسعة أن يغفر للتائبين المنيبين وأن يقهم عذاب النار وأن يدخلهم والصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم جنة الخلد وأن يتجاوز عن سيئاتهم فذلك هو الفوز العظيم ؛ وتلك هى شفاعة الملائكة للصالحين من عباد الله فى الدنيا.. ثم تؤكد الآيات أن غضب الله على الكافرين أشد من كراهية الكافرين لأنفسهم حينما يدعوهم الله سبحانه وتعالى إلى الآيات فيكفرون.

- (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَـذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً) (الفرقان: ٣٠)

يقول د/ مصطفى محمود في: (إنها شكوى صريحة من نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم لربه ؛ وهو نفي لأية شفاعة..يشكو فيها من هجروا القرآن من أمته)... مُستشهدا بتلك الآية الكريمة على نفي الشفاعة المحمدية.

وأقول :

إنها بالفعل شكوى صريحة ؛ بل هي بالأحرى شكوى صارخة..فإن هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو أول من يغارُ على حدود الله وأوامره ونواهيه ؛ هو الأولى أن يغضب لله تعالى ؛ فيشكو قومه بأنهم هجروا القرآن هجراً ، فلم يكفوا عن فعل ما به من نواهٍ ولم يمتثلوا لما فيه من أوامر ؛ فهم قوم يقول المولى سبحانه عنهم **(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)** (الزخرف: ٣٦) وإلي الآن لم يأتِ ذكر لفظة **(شفاعة)** لا تصريحاً ولا تلميحاً.. وكذلك يقول الله تعالي عنهم : **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)** (طه: ١٢٤) حتي هذه الآية لم أرَ فيها كلمة

عن الشفاعة لا لفظاً ولا معنــىً ؛ حتــي أن الله تبــارك وتعالي في الثلاث آيات السابقة لم يقلْ لنا أهم في النار أم في الجنة ! فكيف يستدل د / مصطفي محمود علي نفــي الشفاعة لمجرد شكوي رسول الله صلي الله عليــه وسـلم لربه ؛ التى يشكو فيها من هجر القرآن وتركه وراء ظهره ؟ **(يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً)** قال ابن القيم في كتابه "الفوائد": وهجر القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه ؛ والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه ، وإن قرأه وآمــن بــه . والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه فــي أصــول الــدين وفروعه ، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين ، وأن أدلته لفظيــة لا تحصل العلم ؛ والرابع: هجر تدبره وتفهمه ، ومعرفة مــا أراد المتكلم به منه ؛ والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها ، فيطلب شفاء دائــه من غيره ، ويهجر التداوي به.. وإن كان بعــض الهجــر أهون من بعض....

وإذا افترضنا (جدلاً) أن هذه الشكوي دليل علــي نفــي الشفاعة فهل هم كل قومك يا رسول الله ؟ هــي شــكوى جزئية أطلقت الكل وأرادت الجزء ..إذن المشكو فى حقهم ليسوا كل أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..إذن مــا

ذنبُ الباقين الذين تعلقت قلوبهم بالقرآن بمن هجـــروه ؟ لا ذنب لهم ؛ فالله تعالى يقول (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـــرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنـــتُمْ فِيـــهِ تَخْتَلِفُـــونَ) (الأنعام:١٦٤) ونفي الشفاعة لفئةٍ من الأمة لا تعني نفيها عن كلِّ الأمة ؛ فنحن لم نقلْ: إنَّ الشفاعة المحمدية تقتضي شفاعته صلى الله عليه وسلم فى جميع أمته ؛ فهذه الشفاعة لابد لها من شروطٍ تُستوفى ومقدماتٍ تُعطى ومســـوغاتٍ تُساغ وأسبابٍ يُؤخذ بها؛ ومؤهلاتٍ تؤهل لنيلهـــا والفـــوز بها..ولها جواز مرور ورخصة قيادة.. فهل من هجـــروا القرآن الكريم هجرا قد قدموا لتلك الرخصة مثقال ذرة ؟!

ولا تفوتنا الآية الكريمة دون أن نقف لحظة للتأمـــل فـــى ضمير الملكية والنسب (الياء) فى قوله (قومي) لماذا لـــم يقل (هؤلاء) مثلا ؟ فكم أنت فصيحٌ وبليغٌ ومتحدثٌ لبـــقٌ وخطيبٌ مُفوّه يا رسول الله.. أوفي مثل هـــذا الموقـــف لا تتبرأ منهم ؟! هل مازلت تقول عنهم (قومى) ؟ هـــل مـــا زلت لا تتنصل منهم ولا تنسلخ عنهم ؟ إنها شكوى غريبة جدا ؛ فقد حملت في طياتها الغضب لوجه الله الكريم مـــن هؤلاء الفئة الظالمةِ نفسها ؛ لكنها لم تنص علـــي طلـــب التشفّي من المشكو في حقهم ؛ فكيف نتخيل أن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم سيقف نِدّا لأمته أو خصماً لها ؛ إنـــه فى أقسى اللحظات وفى قلب الشكوى الصـــارخة يقـــول

قومى إنه يشكو من هجروا القرآن الكـــريم هجـــرا بلفـــظ قومى..فما بالنا به مع من عاش بالقرأن ومن عمل بما فى القرآن ومن مات على القرآن ؟ ألا يكون له شفيعا ؟!

- ثم إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعـــد تلـــك الشكوى إلي مُصطفيه سبحانه يقول فى قول الحق تبـــارك وتعالى علي لسانه (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَـــانِي فَإِنَّـــكَ غَفُـــورٌ رَّحِـــيمٌ) (إبراهيم:٣٦) كان الطبيعي أن يقول : فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فليس مني ..ألـــيس كـــذلك ؟ ولكـــن هـــذا الطبيعي طبيعيٌ من وجهة نظرنا نحن؛ أما من سمَّاهُ ربه (رؤوف رحيم) فلم يُسمِّه هباءًا ؛ حاشا لله ؛ فيا رب مـــن تبعني من أمتي فقد نجا من عذابك وفاز بثوابك وأما مـــن عصاني منهم فإنك يا رب الغفور وأنت يا رب الـــرحيم؛ وهي شفاعة ضمنيه يطلب فيها الرسول الكريم من ربه أن يتغاضى ويصفح عمن عصوه من قومه غير كافرين بـــه؛ لكنهم غلبتهم أنفسهم الأمَّارة بالسوء..لذا يقول لربه سبحانه إنك غفور رحيم..فيا رب الأرباب إن كانوا قد عصـــوني فإنك أنت الغفور وأنت الرحيم وأنت الحنّان المنّان الكريم الحليم ؛ فهى بالأحرى شفاعة صريحة أقوي مـــن كونهـــا شفاعة ضمنية؛ لأن هذا هو موقف الحساب ولا مجال فيه لحديثٍ عن شيء أكثر من (جنةٍ أو نارٍ) (ثوابٍ أو عقابٍ)

فالمغفرة والرحمة هنا - (وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) - هي عين مفهوم الشفاعة..لذا قلتُ إنها شفاعة صريحة.
إذن فالدكتور مصطفى محمود قد تسرَّعَ في الإستدلال بالآية الكريمة (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) علي نفي الشفاعة... والله أعلم .

• يقول د / مصطفي محمود فى كتابه :

وحينما جاء البلاغ للنبى فى سورة الشعراء: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (الشعراء:٢١٤) ألم يبادر النبي فينادى على أهل بيته :
يا خديجة إني لن أغني عنكِ من الله شيئا.
يا فاطمة إنى لن أغني عنكِ من الله شيئا.
يا فلان ... يا فلان .... ولم يدعْ أحدا من أهل بيته إلا وأبلغه..
وهذا كلام السيرة وكلام كتاب السيرة أنفسهم أن النبي قد أخلى مسئوليته وتبرأ من الوساطة لأحد حتى أعز الناس.

وأقول :

- إن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يدعُ يوما للتواكل ولم ينادِ به أبدا ...فهو المستغفر ربه أكثر من

سبعين مرةٍ في اليوم والليلة رغم أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ فعلام يستغفر إذن ؟ فيكون الجواب بالاستفهام الاستنكاري (أفلا أكون عبداً شكورا ؟!) إذن هو الداعي إلي الله والأخذ بأسبابه ؛ فمن المنطقي أن يدعو عشيرته وأهله الأقربين من باب أولي بأنه لن يغني عنهم من الله شيئا ؛ ما داموا لم يقدموا ليومهم الآخر وركنوا إلي وجوده صلى الله عليه وسلم بينهم .. فهو يخبرهم بأنه ليس بشافع لمن تواكل ومن ترك السبب ومن غرَّه الأمل حتى أتاه الأجل؛ فهي مبادرة بالترهيب حتى يعملوا ؛ وبالتخويف حتى ينفروا... إن قوله صلى الله عليه وسلم (يا فاطمة إني لن أغني عنكِ من الله شيئا) لم يقطعْ حبل الرجاء بسكين.. ولم يسدْ فتحة الكهف بحجر؛ وإنما هو الباعث والدافع والمحرِّك ؛ هو صلى الله عليه وسلم يريد أن تقف فاطمة ابنته أمام الله تعالى بعملها ؛ وإلا فما شكله هو أمام الله وابنته تقف موقف المقصرِّين ؛ وحاشا لله أن تكون كذلك.. وبالفعل فقد جمع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الناس في غير رواية وقال :يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب

أنقذوا أنفسكم من النار ؛ يا فاطمة أنقذي نفسك من النـــار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً ســـأبلها ببلالها... ولكن لماذا فهمنا أنا معني (لن أغني عنكم مـــن الله شيئا) أي لن أشفع لكم عنده ؟! فعـــذاب الله تعـــالى إن كان واقعاً واقعاً فمن في الأرض يغني منه شيئا أو يـــرد منه مثقال ذرة ؟ لا أحد حتى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم؛ غير أن مفهوم الشفاعة ليس مرادفا لأن يغني صلى الله عليه وسلم عنا من الله شيئا.

- يريد الرسول الكريم أن يُثبتَ سنة الله تعـــالى فـــي أرضه ؛ يريد أن يعلمنا الأخذ بالأسباب وترك التواكـــل ؛ فالله تعالى كان قادرا علي أن يرفع سيد الخلق إليـــه فـــى رحلة المعراج بدون الحاجة إلى البُراق ؛ لكنـــه ســـبحانه وتعالى خلق البراق لتلك المهمة ليكون وســـيلة الركـــوب والسبب المادي في الصعود إلى السماء ؛ وكان ســـبحانه وتعالى قادرا علي أن ينزل الرطب الجني علـــي الســـيدة العذراء عليها السلام لكنه سبحانه جعل الأخذ بالسبب أمرا صريحا فى فعل الأمر (**هُزّي**) في قوله سبحانه (**وَهُـــزّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً**) (مـــريم:٢٥) الأمر بالأخذ بالسبب صريح وواجب ؛ فالله تعـــالى خلـــق السبب وما جعله غير سبب! فالله تعالى يثبت لنا في غيـــر موضع قدرته المطلقة أو طلاقة قدرته سبحانه ؛ فالله الذي

أمرها أن تهزَّ لتأخذ بالسبب هو سبحانه الذي أعطاها الطعام من غير سبب ومن غير عناء منها وهو سبحانه الذي أعطاها فاكهة في غير موعدها (**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) (آل عمران:٣٧) والله سبحانه وتعالى الذي جعل الزواج والتزاوج سببا في الانجاب قد أعطاها طفلا بغير زوج ؛ والله سبحانه وتعالى – وتوضيحا لطلاقة قدرته – قد يعطل السبب الذي خلقه كي لا نظن أن السبب هو الفاعل بذاته؛ فالزواج سبب فى الانجاب وقد يتزوج زوجان ولا يحدث الإنجاب؛ إذن فالسبب لم يوجد عند السيدة العذراء وأنجبت بأمر الله ؛ ووجد السبب فى التزاوج وتعطل مفعوله بأمر الله ...إذن فالله تعالى خلق الأسباب لحكمة يعلمها وأمر بالأخذ بها والتوكل عليه سبحانه في غير تواكل أو إعتمادٍ علي السبب ؛ لذا كان حث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهله أنه لن يغني عنهم من الله شيئا تحفيزا علي الأخذ بالأسباب وإرساءًا لسنة الله في أرضه ؛ وليس نفيا للشفاعة ...

- وأستطرد الحديث حول نفس النقطة مستشهدا بقول الله تعالي (**فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى**) (الليل:١٤) هل معني هذا

الإنذار أننا في النار ؟ الجواب : إن مجرد الحديث عن هذه الآية الكريمة منفردة دون إستبيان ما بعدها هو عين الهراء والاستخفاف بمعني القرآن الكريم .. فالآية تُردف بقول المولي (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى) (الليل:١٥) حتي إن الوقوف بعد معرفة من سيصلاها لم يتمْ المعني بعد ، فقد بقي لنا أن نعرف من هو الأشقي ؟ وكيف حاله ؟ وما شكله ؟ فتردف الآيات قائلة (الذي كَذَّبَ وتَوَلَّىَ) (الليل:١٦) وما دمنا قد عرفنا أن الأشقي هو الذي كذّب بآيات الله سبحانه وتولى عنها فقد بقي لنا أيضا أن نعرف من هو الناجي من هذه النار ولا يخصّه هذا الإنذار منها؛ فتكمل الآيات قول المولي (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى) (الليل:١٧) وما شكل هذه التقوى؟ وماذا يفعل ذلك التقي ؟ ترد الآيات قائلة (الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) (الليل:١٨) فالله تعالى ينذرنا ويحذرنا من النار ثم يقصر دخولها على الأشقياء (أسلوب القصر بالنفى والإستثناء " لا يصلاها إلا...") ثم أجاب دون أن نسأل علي سؤال بديهي : ومن هو الأشقى يا ربنا ؟ فوضّح لنا حاله وشكله وماذا فعل ليكون شقيا ؛ فابتعدنا عن فِعلِ مثل ما فعلَ حتى لا نشقى معه فيكون جزاؤنا جزاءه..ثم جاء الحال النقيض بالتقي الذي جنّبه الله ما أنذر منه نقيضه ؛ إيضاحا وتوضيحا بالتضادّ في الحالين ... وبهذا اتضحت الآية واكتمل المعني وظهرت

أبعاد الصورة كاملة ؛ أما د / مصطفي فقد أخذ قول المولي تبارك وتعالى (**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**) ثم انطلق ليستدل به على نفي الشفاعة؛ولو أنه تأني ليكمل بقية الآيات لوجد الله يقول لرسوله (**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**)(الشعراء: ٢١٤ – ٢١٦)..

فهل السيدة خديجة والسيدة فاطمة والسيدة صفية وغيرهم ممن نادي عليهم رسول الله في غير رواية لم يتبعوه ؟! بل هم من أول التابعين ؛ أي يا محمد اخفض جناحك لمن اتبع هديك ولبّى دعوتك من المؤمنين ابتداءًا بأهل بيتك وعشيرتك ثم الأقرب والأقرب ..فالآية الكريمة (**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**) هي أقرب إلي قول الله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**) (التحريم:٦) فهي دعوة لإبتداء الدعوة إلى الله بالأهل والعشيرة من باب (أولى) مثلما في قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً**) (الأحزاب:٥٩) فالله تعالى بدأ الأمر لرسوله الكريم بالأزواج و البنات ثم عمّمه بنساء المؤمنين ؛ علما بأن السابق جزء من التالي ؛

وذلك أقرب لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (**خيركم خيركم لأهله...**) وأما إن عصوا أمرك ورفضوا دعوتك يا محمد فتبرأ منهم ومما يعملون ؛ فعلي الله حسابهم فقد فعلت ما عليك بتبليغك لهم وتحذيرك إياهم (**...وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**) (النور :٥٤) فالإنذار والدعوة يا محمد ابدأها بأهلك وعشيرتك من باب أولى ؛ أما أن تخفض جناحك فهذا لكل من آمن بك؛ دون تفريق في ذلك بين بعيد عنك أو قريب لك ؛ ثم ما علاقة هذه الدعوة وهذا الإنذار بموضوع الشفاعة أصلا ؟! وهل عاش الرسول حياته إلا داعياً ومنذراً ؟! (**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً**) (الإسراء:١٠٥) (**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**) (البقرة:١١٩) ... والبشرى فيها ترغيب والإنذار فيه ترهيب ؛ حتي إن الإنذار في حد ذاته يحمل معني البشرى ؛ لأن المُنذِرَ يُحذِّرك مما يمكن أن تقع فيه فتحيدَ عنه وتتبع الصواب فتنجو مما حذرك منه فكأنما هو قد بشَّرك في شكل إنذار... والله أعلم .

- **يقول دكتور / مصطفى محمود فى كتابه:**

{ كيف تصور المسلمون أن لهم استثناءات في الآخرة وأن المسلم لن يدخل النار ولن يخلد فيها والقرآن يقول: **(وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ)** (النساء: ١٤) ......} .

أقول:

أولا: الآية خلّدت العاصين في النار (نعم) ولكنها لم تطلق لفظ العاصين دون عطف عليه ؛ فقد عطفت عليه **(وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ)** إذن فالآية قد اشترطت شرطاً في هؤلاء العاصين وهو صفة أو جرم تعدي الحدود الإلهية؛ ولا يعقل أن الآية تتحدث عن نوعين من الناس المغضوب عليهم ؛ نوع عاصٍ ونوع آخرَ متعدٍ للحدود فهم العاصين هنا هم أنفسهم متعدو الحدود الإلهية التى حرَّم الله تعالي تعديها ؛ إذن هذا العطف قد وضَّح شكل وحال هؤلاء العصاه وإلا لماذا لم يقل المولى تعالى (ومن يعص الله ورسوله و (مَن) يتعد حدوده) إن عدم الحاجة هنا إلى الاسم الموصول (مَن) مرة أخرى يعنى أن الحديث ما زال عن نفس المُتحدَّث عنهم... إذن فمجرد المعصية لا يقابلها الخلود فى النار

وإلا فكلنا فى النار إلا من رحم ربي فكلنا بشر أصــحاب ذنوب وأخطاء صغيرها أو كبيرها ؛ حتى أبونا آدمُ أخطــأ وعصى أمر ربه وأكل من الشجرة ؛ أفيخلد آدمُ فى النــار ؟! حاشا لله تعالى .

إذن هناك شرط لخلود العاصي فى النار وعــدم جــدوى الشفاعة معه وهو أن يكون قد تعدى حداً مــن حــدود الله بالمعصية التى اقترفها.

ثانيا: إن من خلد فى النار هذا ممن لم تجزْ لهم الشفاعة ؛ ونحن ما قلنا بأن الشفاعة للبشرية كلها فهــي مشــروطة وجزئية ليست مطلقة ولا كلية..وحاشا لله تعــالى أن تعــم الفوضى على مشهد يجعل الولدان شيبا ؛ بل هى مشروطة ومعلقة ؛ لها شروط وحولها ضوابط ؛ هي هبة توهب لمن استحقها وعمــل عملهــا وكــان مــؤهلا لهــا مســتوفيا لشروطهاوفى هذا المعنى يقول المولى تعالى(.....**وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**) (الفتح٢٦:) إن كلمة التقوى هنا هي هديــة وهبــة وعطاء من الله تعالي لبعض من عباده المســلمين ؛ فهــل تلك الهدية وهذه الهبة وهاتِهِ المنحة تعطى بمحسوبية ؟ هل فيها وساطة ؟ هــل هــى للأقويــاء ؟ أم للأثريــاء ؟ أم لأصحاب السلطة ؟ أم لأصحاب الجاه والوجاهة؟ لا لهــذا ولا هذه ولا هاتها ولا تلك ولا كل هؤلاء ... إنها لــ مَن

كانوا أحق بها ... والسؤال؛ من هم هؤلاء الأحق بهـــا ؟ إنهم – وبالبديهة – من حسنت أعمالهم فكانت أعمالهم هذه هي ليسانس شهادتهم وجــواز مــرورهم إلـــى رخصـــة الاستحقاق بتلك المنحة الإلهية وهذه الجائزة الربَّانية.

إذن فالشفاعة مشروطة بشرط ومتعلقة بجواز مرور أولـــه ما قدمت من عمل ومنتهاهُ إذنٌ من الله بالشـــفاعة. لقولـــه تعالى (.....**مَن ذَا الَّـــذِي يَشْـــفَعُ عِنْـــدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِـــهِ**...) (البقرة:٢٥٥)... غير أن معني الخلود في النار هنا فـــي هذه الآية لا يعني الأبدية المطلقة ؛ فالخلود فـــي القـــرآن نوعـــان اثنـــان (خلـــود أبـــدي – خلـــود أمـــدي) والخلود في اللغة معناه المكث الطويل ؛ فإذا مكث الرجل طويلا قيل له **خالد**، لذلك تسمي العرب أولادهـــا (خالـــد) رغم علمهم أنه سيموت لا محالة وليس بخالدٍ أبدا ؛ ولكنه التفاؤل بطول العمر.

ويقول **الشيخ صالح آل الشيخ**: وليس معنى الخلود هنـــا أنه خلود بلا انقطاع ، وإنما هذا يميز بالأبدية لهـــذا فـــي الآيات ثمة آيات فيها (أبدًا) ، وثمة آيات ليس فيها الأبدية وعندما جاءت آية القتل قال تعالى (**وَمَـــنْ يَقْتُـــلْ مُؤْمِنًـــا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**) (النســـاء:٩٣) ، أجمـــع أهل السنة على أن الخلود في هذه الآية لـــيس أبـــديا لأن مرتكب الكبيرة يخرج من النار بتوحيده ، والآيات التـــي

فيها الخلود الأبدي واضحة كقوله جل وعلا (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) (البينة:٦)

- **(فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)** (المدثر:٤٨)

- يستدل الدكتور مصطفي محمود بتلك الآية الكريمة علي نفي الشفاعة أيضا.

- ولكن معني ذلك أن هناك شفعاء (**الشافعين**) وهم يقومون بعملية الاستشفاع ذاتها بغض النظر فى ذلك عن قبول تلك الشفاعة أو عدم جدواها للمشفوع فى حقهم.

فالآية الكريمة هنا لم تنفِ الشفاعة ولكنها نفت قبولها لهؤلاء المغضوب عليهم؛ إذن قد تقبل عن آخرين ويشفع الله تعاى لهم ويقبل شفاعة الشافعين فيهم لقاءَ ما قدموا من أعمال أباحت لهم الشفاعة وأحلتها؛ فالجبارُ رحيمٌ والعادلُ فاضلٌ ، والملك بيده أن يسامح ويغفر ويتغاضى ويعفو... أليس هو من يُبدِّل السيئاتِ حسنات؟! ... والآية الكريمة وإن كانت تنفي الشفاعة فهي تثبتها في نفس الوقت .. فهي تنفيها عن نوع من الناس ممن غضب الله تعالى عليهم لسببٍ ما ؛ وبالطبع فإن إنعدام السبب يقابله إنعدام العقاب غير أن كلمة (الشافعين) جاءت هنا بصيغة الجمع لا

المفرد ، وهى دلالة واضحة علي تشفيع الله تعالى لبعض خلقه في بعض خلقه ، إذن لم تقتصر الشفاعة أو عملية الاستشفاع هنا علي فرد "رسول الله" صلي الله عليه وسلم.

- وما الدليل على أن تلك الآية الكريمة قد قيلت في المؤمنين؟ فهي قد قيلت في حق الكافرين؛ والدليل القطعي علي ذلك قول الله تعالي فى موضع آخر (....إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى...) (الأنبياء:٢٨) فهذه قيلت في حق المؤمنين لذا كان الحكم عليهم بالرضا والحكم علي ضدهم بضد الحكم... والله أعلى وأعلم .

ويستشهد أيضا بالآية الكريمة:

- **(مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)** (البقرة:٢٥٥).

ولكن الآية الكريمة أثبتت وجود الشفاعة وجعلتها مشروطة بشرط كما قلنا وهو الإذن من الله للشافع وهو وسيط الشفاعة هنا؛ أما حدث الشفاعة ذاته (المرادف لمعنى العفو) فهو للمولى سبحانه وتعالى وحده لا غيره...فهو الذى يقبل تلك الشفاعة أو يردها؛ ولا أتصور أن قبول هذه الشفاعة يعود فقط على الشافع بل على المشفوع في حقه أيضا فلابد له من مؤهلات تجعله أهلا

لإستحقاق تلك الشفاعة من الله تعالى وإلا ما كان الشافع ليقدمَ على تلك المحاولة أصلا .

- **يقول دكتور / مصطفى محمود :**

{ (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (الأنبياء: ٢٨).

بذلك عاد فأغلق الباب وجعله مقصوراً على أهل الرضا أي المرضي عنهم ... وهو تحصيل حاصل فالمرضي عنهم ناجحون بحكمِ ما فعلوا فى حياتهم من خير} .

وأقول:

أولا: هو هنا نوَّه إلى قضية الجبر والإختيار ثم وقف موقف المؤيدين للجبرية وبأن الإنسان ليس له أية إرادة فى إختيار أفعاله وبأنه مُسيَّر غير مُخيَّر ؛ مُجبرٌ على الخير لا بطل ؛ مدفوعٌ إلى الشر غيرُ آثم ... وهذا ما لا يقبله العقل الذى هو – من المفترض – أن يكون مَن أوصل إلي هذه الفكرة.

ثانيا: إذا كان الموضوع كله فى النهاية هو تحصيل حاصل كما قال وأن هؤلاء المشفوع لهم قد أنجتهم أعمالهم

الطيبة فى الدنيا من هول هذا الموقف العظيم؛ إذا كان هذا كذلك وهم ناجون ناجون فماذا أضافت لهم الشفاعة ؟! وما الجدوى منها ؟! ما داموا سينجون بدونها وبفضل أعمالهم الماضية في الدنيا.

إذن (من ارتضى) لم تغلق الباب على منِ حسن عمله فى وجه غيره..لأن المعادلة أبسط من هذا .

أفعال طيبة في الدنيا + إخلاصها لوجه الله سبحانه = حسنة بأضعافها

إذن الحسنة وجدت ، وسيلة المواصلات وجدت ، فما الحاجة إلى الشفاعة إذن ؟!

معادلة أخرى

طالب فى امتحان (ذاكر الطالب + فهم المعلومة أو حفظها = طبّقها فى الامتحان = أخذ درجة النجاح أو أكبر منها) .

بقى السؤال : **ما حاجة هذا الطالب إلى درجات الرأفة ؟**

ألم ينجح أصلا بمعلومته التى تساوي الحسنة ؟ بفضل مذاكرته التى تساوي العمل الطيب ؟ ثم نجح فى الإمتحان بما يساوى ميزان الأعمال؟ (**..وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ..**) (النحل: ٦٠).

والله تعالى يقول : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً) (الكهف :١٠٧-١٠٨)

إن هؤلاء ناجحون بفعل أفعالهم التي قدموا في الحياة الدنيا..فكان الجزاء من جنس العمل بالخلود في جنة الفردوس والتنعم بالنعيم الخالد فيها؛إذن لماذا لم يمر هؤلاء بمرحلة الشفاعة ؟

إن المعادلة الطبيعية قد تحققت هنا وظهرت جلية دون غشاوة أو ستارة ؛ أناس آمنوا وقدموا الخير في حياتهم واخلصوه لوجه الله تعالى فجاء الجزاء مباشرة دون الحاجة للشفاعة فقد قبلَ الله تعالى أعمالهم لعلمه تعالى بأنها خالصة لوجهه فأخلدهم في نعيم جناته سبحانه.

إذن (من ارتضى) في الآية الأولى ليست تحصيل الحاصل وليسوا هم من نجحوا بحكم ما قدموا في حياتهم الدنيا ... العقل يقول : إن هناك من هم محتاجون لهذه الشفاعة وأشد حاجة إليها من هؤلاء الذين اجتازوا الإمتحان بما قدموا من عملٍ طيبٍ في الدنيا.

وإن كان هذ الكلام صحيحا (إفتراضا) وأنهم هم هؤلاء الذين ارتضى الله فالعقل يقول : إنهم ليسوا وحدهم في تلك الشفاعة وذلك الرضا؛ غير أن جملة (تحصيل حاصل)

التي ذكرها د/ مصطفي محمود عندما تقال فى شرح آية من آيات القرآن فذاك شيء غير مقبول نهائيا.

يقول د / مصطفي محمود فى كتابه تعليقا على الآية الكريمة:

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ) (التكوير: ١-١٢)

يقول - رحمه الله - هل هذه لحظة يساوم فيها النبي ربه لإخراج رجل من النار وإدخاله الجنة وهو لم يفعل خيرا في حياته قط ؟!.. إن لم يكن هذا هو الهزل .. فماذا يكون؟ وحاشا لله .. ما كان لرسولنا العظيم أن يفعل هذا إن هي إلا تخرصات وأكاذيب وأقوال مدسوسة ، ولو استطاعوا أن يجعلوا منه ابنا لله لفعلوا...

وأقول :

أولا: ما علاقة لفظة (المساومة) بلفظة (الشفاعة) ؟! لـذا وجدت أنه كان من الضروري جدا أن أقدم لكم في هـذا الكتاب وعلي أوائل صفحاته تعريفا وافيا لمعني كلمة الشفاعة في اللغة العربية والتعريف الإصطلاحي والمفهوم الديني أيضا.. فهل طلب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لربه أن يشفع لأمته وأن يعاملها الله تعالى بفضله قبل عدله يُسمى مُساومة ؟!!! ولا أدري كم أرسُم من علامات التعجب ؛ فمئات الملايين من العلامات الآن لا تشفي حجم دهشتي من هذه الكلمة الغريبة (يساوم) ولا أجد أية علاقة – ولو عن طريق اللبس – بين مفهوم الكلمتين ؛ ولو رجعتم فورا إلي التعريف الديني لمعني كلمة الشفاعة علي الصفحات الأولى من هذا الكتاب لوجدتم أن أول كلمة في التعريف مكتوبة هكذا...(**طلب**) وبنفس الطريقة وبين القوسين ، فالشفاعة طلب .. ودعوة من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لربه وليست أمراً له ولا مساومة حاشـا لله ، وعـلامَ يساوم أصلا ؟!! وكيف؟!! ويساوم مَنْ ؟! الله ؟؟؟!!!! فسَوَمَ السوم عقد السلعة علي البيع ، والسوم في المبايعة:ساومته سَوما وتساومنا وسِمْتُ السلعة سوما واستمتُ بها .. واستمتُهُ

إيّاها وعليها أي: غاليت في ثمنها و استمتهُ إيّاها أي : سألته سومها...

والمساومة هي المجاذبة بين البائع والمشتري علي السلعة وفصل ثمنها.. والمنهي عنه أن تكون المساومة في السلعة وبعد تقارب الإنعقاد فيجيء رجل آخر يريد أن يشتري السلعة فيخرجها من يدي المشتري الأول بزيادة السعر علي ما استقر الأمر عليه بين المتساومين ورضيا به قبل الإنعقاد... فذلك ممنوع مثل المقاربة لما فيه من الإفساد.

وقال ابو اسحق: السوم أن يساوم في سلعته ، وذلك منهي عنه قبل طلوع الشمس لأنه وقت يذكر الله فيه فلا يُشتَغلُ بغيره ... فهل في هذا الشرح ما يمتُ بصلةٍ من قريبٍ أو بعيدٍ لمعنى شفاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم لنا عند ربه ؟!

ثانيا: لم نقل بأن الشفاعة هي مجرد إخراج مذنبين من النار وإدخالهم الجنة فقط وإن كان هذا هو أحد أشكالها؛ فلها أشكال أخرى كإدخال مذنبين الجنة قبل دخولهم النار أصلا ؛ وزيادة وترقية في درجات أهل الجنة أيضا.

ثالثا: مَن الذي قال إن معني دخول رجل النار أنه لم يفعل خيرا قط في حياته ؟ قد يكون ميزان السيئات أثقل من ميزان الحسنات بتسع سيئات فقط !! فأين يذهب صاحب هذا الميزان ؟ إنه يحتاج إلي حسنة واحدة فقط حتى ترجح كفة الحسنات ؛ فالحسنة بعشرة والسيئة بواحدة والسيئات رجحت بتسعة والعشرة أكبر من التسعة.. فإذا دخل هذا الرجل النار.. فهل يسلبُهُ الله تعالى حسناتِه ومن أسمائه سبحانه (الحكم العدل) ؟! وإذا دخل هذا الرجل الجنة فكيف دخلها ؟ هل بالمساومة ؟! أم بـ طلب الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة لهذا الرجل من ربه؟

• يقول أيضا فى كتابه عن الآية الكريمة :

{(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (السجدة:٤) يقول : إن هذه الآية تنفى الشفاعة نفيا مطلقا فليس لنا من دون الله من ولي ولا شفيع وهذا صحيح وأكيد وسليم ...

ولكن أقول:

أولا: هل الآية الكريمة هنا تنفى شفاعة الله سبحانه لنا ؟ أم تنفى وجود شفيع غيره سبحانه ؟ إن الله يقول ما لكم من دوني من شفيع ...نعم يا رب ليس لنا من دونك شفيع ولكنك يا رب أنت شفيعنا؛ إذن فاشفع لنا أنت يا رب الأرباب؛ فكلمة (شفيع) هنا لا تعني دور سيد الخلق سبحانه في عملية (الشفاعة) ، ولكنها دور المولى عز وجل وتعني العفو والسماح فالله تعالى لم يقلْ هنا: لن أشفع لكم وإنما بيَّن أنه لا أحد غيره سبحانه قادر علي قبول الشفاعة ؛ غير أن الآية الكريمة لم تتطرق إلي دور المصطفي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة أصلا.

إذا قال لك أحد الناس – وقد أحاط بك – لن ينجيك مني أحدٌ فهل هذا دليل قاطع على أنك لن تنجو منه ؟ ليس دليلا أصلا ؛ أفلا يستطيع هو الذى أحاط بك ذاته أن يعفو عنك بنفسه ؟! بالطبع يستطيع ... إن الشفاعة ليست مرادفة للفظ الإستشفاع..إن الإستشفاع هو طلب الشفاعة وهو دور سيد الخلق صلى الله عليه وسلم فى العملية ونحن المستشفع فى حقهم أو المشفوع في حقهم أو المشفوع لهم والله جل فى عليائه هو **الشفيع** ، إذن الشفاعة هى الحدث ذاته..وهي هنا مرادف العفو والسماح

والغفران..والله تعالى لم ينفِ في الآية الكريمة وقوع الحدث ولكنه نفي وجود أحدٍ غيره يكون بيده الأمر في هذا الحدث.. فنحن تتنسينا أن الشفيع الأوحد الأول والآخر هو الله الملك عز وجل ؛ إذ بدونه لا يسمح لشافع ولا يؤذن له ولا يرضى به ، إلا إذا أذن الله ورضي بالشافع وبالمشفوع فيه ؛ فإذا لم يرضَ بالشافع هلك المشفوع في حقه وإذا لم يرضَ بالمشفوع له ما شفع له الشافع أصلا.. فالآية الكريمة تنفي القدرة علي الشفاعة عن كل المخلوقين وتحصرها في ذات الله عز وجل .

• يستطرد الدكتور/ مصطفي محمود حديثه حول الشفاعة مستشهداً بالآية الكريمة التى تقول:(يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) (طه:١٠٩).

أقول:

- إن بالآية أسلوب قصر يقصر الحدث على نوع معين من البشر والحدث هنا هو عملية الشفاعة والمتاح لهم الحدث هنا هم من أذن لهم ... إذن هناك من يؤذن لهم بالشفاعة فهي جزئيةٌ غير كليّة ؛ مشروطة غير مطلقة ؛

خاصة غير عامة.. كما قلنا مرارا..فهى ليست كما يتخيل البعض أنها نوع من أنواع الوساطة مثل التي فى الدنيا ؛ بل هى لمن استوفى شروطها وكان أحق بها مثلما في قول الحق تبارك وتعالى (**وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**) (الإسراء:١٠٩) فهم خروا للأذقان أولا وبكوا من خشية الله فكان الجزاء أن زادهم الله خشوعا..فمن المنطقي أن من أذن له بالشفاعة وحلت له هو من قدَّم لها وعمل عملها..إذن الآية الكريمة لا يُستدل بها على نفي الشفاعة وإنما يُستدلُ بها علي تقيدها بشرط الإذن من الله تعالى.

ويقول الشيخ المراغي (نقلا من كتاب الشفاعة للدكتور مصطفي محمود) : (إن الشفاعة المعروفة في دنيانا لا تكون إلا بترك الحاكم لما حكم به وفسخ ما عزم عليه لأجل الشفيع والحاكم العادل لا يقبل الشفاعة بهذا المعنى ويقبلها الحاكم المستبد فيعدل عن حكمه بما يعلم أنه ظلم وأن العدل بخلاف ما حكم ... ومثل هذا محال فى الآخرة على المولى جل وعلاه) .

أقول :

إن هذا في دنيانا وإن استبداد الحاكم هنا صحيح وأكيد لأنه تنازل عن حق الطرف الثالث وهو المظلوم فى القضية المتنازَعُ عليها والتى يشفع فيها الحاكم للظالم على حساب المظلوم..وتلك قمة الجور ومنتهى الظلم ؛ ولكن ماذا لو كان ظلم الظالم المشفوع له وجرمه كان فى حق الحاكم ذاته؟

إن تنازل الحاكم هنا عن حقه ليس استبدادا وإنما هو رأفة ورحمة وليس جوراً بل هو فضل وكرم. وهو رحمة ولطف وهو تغاضى ومنٌ ... وهو عند الله مغفرة وشفاعة لمن ارتضى...

- **(وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ)** (البقرة:٤٨)

يستشهد د / مصطفي محمود بهذه الآية الكريمة علي نفي الشفاعة ، نفيا مطلقا من وجهة نظره ...

وأقول :

ما أدرانا أن النفس التي تجزي مؤمنة هـــي أم كـــافرة ؟! والمجزي عنها كافرة هي أم مؤمنة ؟

- **قال السدي** : لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كـــافرة من المنفعة شيئا.

- **قال الطبري** : فتأويل الآية : واتقوا يوما لا تقضـــي نفس عن نفس حقاً ؛ لزمها لله جل ثنـــاؤه ولا لغيـــره ولا يقبل الله منها شفاعة شافع فيترك لها ما لزمها من حـــق ؛ وقيل إن الله عز وجل خاطب أهل هذه الآية بما خـــاطبهم به فيها لأنهم كانوا من يهود بني إسرائيل وكانوا يقولـــون نحن أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه وسيشفع لنـــا عنـــده آباؤنا.

- **وقال القرطبي:** لا تؤاخذ نفس بذنب أخرى ولا تدفع عنها شيئا..وقال أيضاً : وقد اجمع المفســـرون علـــي أن المراد بقوله (واتقوا يوما ....): الـــنفس الكـــافرة لا كـــل نفس... وقد استشهد المرحوم الشـــيخ / محمـــد متـــولى الشعراوي بهذه التفاسير في إثباته للشفاعة..

- وقال ابن كثير : (ولا يقبل منها شفاعة) يعني عن الكافرين ؛ كما قال عنهم : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين).

– وكما قال عن أهل النار : (فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ) (الشعراء:١٠٠) وقوله : (ولا يؤخذ منها عدل) أي : لا يقبل منها فداء..فأخبر الله تعالى أنهم إن لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به ، ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه ، فإنه لا ينفعهم قرابة قريب ولا شفاعة ذي جاه ، ولا يقبل منهم فداء ، ولو بملء الأرض ذهبا ومن المحال أن يجتمع كل هؤلاء الأئمة والعلماء والمفسرون على خطأ.

- (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا أنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أن يأتيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ ولا خُلَّةٌ ولا شَفَاعَةٌ والكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة :٢٥٤)

أقول: بالفعل ... إن الآية الكريمة تحدثت عن نفى الشفاعة؛ وبالفعل قد بدأت بالخطاب للذين آمنوا ؛ ولكن... لماذا أنهت الآية الكريمة الخطاب بـ (والكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)... إن هذا القرآن الكريم ليس به حرف زائد ولا كلمة في غير موضعها ولا تركيب لغوي إلا وله حكمة

بالغة ؛ إذن ما التفسير لبدء الآية بالمؤمنين وانتهائها بالكافرين الظالمين ؟

- **قال الطبري** : إنما هو مراد به أهل الكفر.

- **وقال الجوزي** : إنما نفي هذه الأشياء لأنه عني عن الكافرين وهذه الأشياء لا تنفعهم ؛ ولذا قال (والكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ).

-**وقال العلامة محمد حسين الطباطبائي** : في كتابه (الميزان في تفسير القرآن) تدل الآية على حرمان الكافرين من الشفاعة، غير أنّ الآية الكريمة جاءت لتقول للمؤمنين : إنّ الامتناع من الانفاق في سبيل الله كفر فيكون الممتنع عن الانفاق محروماً من الشفاعة لكونه من مصاديق الكافرين... والآية القرآنية الشريفة هي من أكثر الآيات القرآنية التي وقعت في موقع الاستدلال على نفي الشفاعة، وهذا الاستدلال على نفي الشفاعة نفيا مطلقا كان من الممكن أن يكون صائبا لو لم تُعقب الآية بجملة : (والكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) حيثُ كان فيها إيضاح بأنّ الذين لا ينفقون مما رزقهم الله في سبيله هم الذين لا تنالهم الشفاعة ؛ لأنهم يدخلون في عداد الكافرين بناءًا على ما قدموا ..إذا فليس في القرآن الكريم نفي مطلق للشفاعة، وانما يصحُ أن يقال إنّ النفي الموجود في القرآن هو نفيٌ

مقيد للشفاعة بقيد موضوعي ...فإذا ارتفع القيد ارتفع النفي .

• (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى) (النجم : ٣٩-٤٢)

ويستشهد الدكتور مصطفى بتلك الآية أيضا على نفي الشفاعة قائلا: ليس للإنسان إلا ما سعى... والسعى هنا يتضمن كل حركة الإنسان ومجموع عمله ونشاطه وثمرات فكره ومجموع خيره وشره ونفعه وضرره إلى وقفة المنتهى أمام ربه حينما تحين الساعة ... أما الكلام مجرد الكلام فلا يقدم ولا يؤخر.
أما قال وقلنا وقالوا فهى شقشقة ألسن ومجرد هواء لن يدخل الجنة ولن ينجي من النار.

ولكن:

(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) أي : **عمل** ، كقوله سبحانه (**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**) (الليل:٤) وهذا أيضا في صحف إبراهيم وموسى .
وقال ابن عباس : هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة

بقوله : (....أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ...) (الطور: ٢١) فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء **وقال عكرمة** : كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى ، فأما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم ، لما روي أن امرأة رفعت صبيا لها فقالت : يا رسول الله ألهذا حج ؟ قال : (نعم ، ولك أجر) وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أمي افتلتت نفسها ، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال " نعم" **وقال الربيع بن أنس** : وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ". " يعني الكافر " ، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعي له . وقيل : ليس للكافر من الخير إلا ما عمل هو ، فيثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير ... ويروى أن عبد الله بن أبي كان أعطى العباس قميصا ألبسه إياه ، فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفنه فيه ، فلم يبق له حسنة في الآخرة يثاب عليها..فضلا عن كلمة (**الأوفى**) في (الجزاء الأوفى) إذن هو جزاء أوفى من قدر العمل ؛ لأن العادل كريم والجبار رحيم سبحانه وتعالى فهو المجزي الحسنة بعشر والسيئة بمثلها فقط ..

- (قُل لِّلَّـــهِ الشَّــفَاعَةُ جَمِيعــاً لَّـــهُ مُلْــكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).
(الزمر :٤٤)

الآية الكريمة بها أسلوب قصر ؛ اعتمد فى أدواتـــه علي التقديم والتأخير فالمعنى أن الشفاعة جميعها لله تعالي ؛ وما حدث هو تقديم لفظ الجلالة المصحوب باللام التـــى تفيد الملكية والتملك لقصر الملكية عليه جل جلاله...ولكن هنا تأكيد لوجود الشفاعة وليس نفيا لها وكل ما في الأمـــر هو قصر تلك الشفاعة على الذات العليا ؛ فكون الشفاعة لله لا تعني عدم وجود وسطاء أو شفعاء فى عملية الشـــفاعة؛ فمعنى أن لله الشفاعة جميعا أن الله تعالى هو وحده الـــذي يقبل تلك الشفاعة ويجيزها فيأذن لمن أراد ويحجبها عمن أراد فيكون الرضا على من أذن له والسخط علـــى مـــن حجب .

- وثمَّة آيات أخرى يستشهد بها الـــدكتور مصـــطفى محمود على نفى الشفاعة ومنها الآية التي قيلت على لسان أصحاب النار والعياذ بالله ؛ تقول الآية الكريمـــة (رَبَّنَـــا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) (المؤمنون:١٠٧-١٠٨)

وأقول :

نعم هم بالفعل ليسوا بخارجين منها وهم فيها كالحون ولا يتكلمون...ولكن هذه الآية لم تذكر الشفاعة نفيا أو إثباتا بالمعنى المعروف عنها وكل ما حدث في الحوار داخل الآية الكريمة أن هؤلاء المجرمين توسلوا للخروج من النار على وعدٍ كاذبٍ منهم بعدم العودة لما كانوا عليه من ضلالٍ وظلامٍ قادهم لما هم فيه من هوانٍ وعذابٍ أليم ؛ إذن لم يأتِ ذكر الشفاعة بعدُ في تلك الآية الكريمة..والاستشهاد بتلك الآية وبالحوار الدائر فيها علي نفي الشفاعة من رأيي ليس بالاستشهاد الصائب..فالتصور العقلي للشفاعة يختلف تماما عن موضوع الآية الكريمة فمن المنطقي والمقبول والأقرب للعقل أن تكون بداية الشفاعة قبل المفترق الأخير من مشهد يوم العرض على الديان سبحانه؛ فالمشهد الأخير هو دخول أهل الجنة الجنة والتنعم فيها ودخول المغضوب عليهم والضالين في النار خالدين خاسئين فيها لا يتكلمون..ومن أشكالها الأخرى إخراج بعض من في النار وإدخالهم الجنة ؛ فمن حقت له الشفاعة والرضا من الله قبل تقرير المصير و قبل دخوله النار ترجح كفة حسناته ويتقرر مصيره إلى جنة النعيم..أما من دخل النار فقد يشفع له فيما بعد ويخرج

منها إلي الجنة ؛ أما المتكلمون في الآية موضوع حديثنا فهم ليسوا بخارجين منها بالفعل ؛ فقد انتهى أمرهم ودهستهم عجلة الزمن ؛ ذلك بأنهم لم يعملوا ولم يكونوا من حملة مؤهلات الشفاعة ولا من أهلها الذين يملكون هذه المسوغات وأخذوا بتلك الأسباب وعملوا بعمل أهل النعيم..**و ما يدرينا أن تلك الآية قد قيلت فى المؤمنين أصلا ؟!**

- **ويعود د / مصطفى محمود ليستشهد بآية أخرى علي نفي الشفاعة:**

(وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً) .
(النساء : ٩٣) .

أقول:

نعم.... إن من يقتل مؤمناً عن عمدٍ فالجزاء واضحٌ في الآية الكريمة مُضافةً إليه غضبُ الله عليه ولعنتـه تعالى له والعذاب العظيم..ولكن هذه الآية لمْ تنفِ الشفاعة مطلقا بل نفتها عمن قتَل مؤمنا متعمداً..فهل قلنا بأن الشفاعة لكل البشر ؟! لم نقلْ ذلك بل قلنا إنها لمن استوفى شروطها وكان أحقَّ بها وعمل لها واخلص لوجه الله

تعالي عمله..إذن ففعل المؤمن الذنب الأقل جرما من القتل العمد لمؤمن مثله ؛ فلم لا يشفع له ما دام هو أقل من الحد المنصوص عليه فى الآية الكريمة التى أوجبت على صاحبها عدم الشفاعة وخلوده فى الجحيم..على أن يكون بذلك قد اسقط شرطا آخر وهو المظلمة في حق أحد العباد وعدم وجود طرف غير المذنب أمام رب العباد ؛ فلو افترضنا أن المظلمة في حق الملك ذاته وهى أقل جرما من قتل النفس المؤمنة عن عمد فلم لا نقبل أن نتصور أن الله الغفور الرحيم سوف يتنازل عن حقه ويشفع لهذا المذنب ؟! ما دام هذا ليس تنازلا عن حق مؤمن مظلوم مات غدراً ؛ فالله تعالى من صفاته الكمال والكمال يقتضى العدل ؛ والعدل يقتضى إعطاء كل ذي حق حقه ؛ والمقتول عمداً له حق عند القاتل وجزاء القاتل الخلود فى النار... إذن هذا القاتل ليس له حق فى الشفاعة وهذا منطقي وعلي قمة العدل ؛ وكون هذه الحالة لا يحق لها الشفاعة فهذا ليس دليلا على انعدام الشفاعة وانتفائها عن بعض الحالات الأخرى من أصحاب الذنوب والمعاصي من المؤمنين ..والله أعلم...

يرى الدكتور / مصطفي محمود في كتابه (الشفاعة) أن الأحاديث التي نُسبت للرسول الكريم بما يثبت وجود الشفاعة قد أنجبت لنا مسلما إتكاليًا غيرَ آخذٍ بالأسباب ولا مبالٍ بما يفعل متكلاً فى ذلك على شفاعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم له أمام محكْمة العدل الإلهية يوم العرض على ديان يوم الدين..بل و يقول: إن الرسول الكريم قد عنَّف البخارى عندما علم أنه يدون عنه الأحاديث وأن عمر رضى الله عنه لما سمع بتدوين الأحاديث جمعها وأمر بها فأحرقها !!!

وأقول فى ذلك :

إنه من المعلوم لدينا حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي يقول فيه (**نضر الله امرءًا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه**) رواه أبو داوود وصححه الألباني في صحيح أبي داوود عن زيد ابن ثابت رضي الله عنهم...

ثم إن تلك الأحاديث لم توجدْ منذ يومين فقط أو سنتين أو عشرة أو مئة بل هى موجودة منذ أكثر من ألف سنةٍ مضت..فلماذا لم نسمعْ فيمن مضوا بهذا الاتكال وتلك

اللامبالاة وعدم الأخذ بالأسباب والركن إلى أحاديث الشفاعة ..لماذا لم نرَ كل هذا الانحطاط الأخلاقي وهذه الفوضى الجارفة وتيّارات التقليد الأعمى الصفيق البليد القشري الأجوف الجاهل المتخلف الأحمق كلَّ الحمق لكل ما يفعل الغرب وكل ما يلبس وكل ما يأكل وكل ما يشرب ...لماذا نحن مقتنعون بأننا على الحق والدين الصواب والفطرة السليمة وأنهم هم حطب جهنم ووقودها وأصحاب الدرك الأسفل من النار ، ومع ذلك نقلدهم في كل ما يفعلون ؟! ما ذنب تلك الأحاديث إذن ؟! وما ذنب البخاري أيضا ؟!

وما الداعي للتشكيك في صحتها ؟!هل ما زلنا نسأل عن الخل؟ ..أحرامٌ هو أم حلالٌ ؟ والرسول الكريم يقول **(نعم الإدامُ الخل)** ؟..فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أهله الإدام فقالوا: ما عندنا إلا الخل فدعا به فجعل يأكل به ويقول: (نعم الإدام الخل، نعم الإدام الخل) وفي رواية: قال جابر: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم إلى منزله فأخرج إليه فلقاً من خبز فقال: ما من أدم ؟ فقالوا: لا، إلا شيء من خل فقال: (فإن الخل نعم الإدام) قال جابر: فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبي الله .

لماذا نسبنا كل ما وصلنا إليه من ضياع وإنحلال وتـدني إلى جملة وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبى ذر فى حديث الرسول الكريم عن الشفاعة ؟ الذى فيه : روى البخـاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائمٌ ؛ ثم أتيته وقـد استيقظ فقال : ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات علـى ذلك إلا دخل الجنة ؛ قلت وإن زنى وإن سرق ؟

قال : وإن زنى وإن سرق ؛ قلت : وإن زنى وإن سرق ؟

قال : وإن زنى وإن سرق ؛ قلت وإن زنى وإن سـرق ؟

قال : وإن زنى وإن سرق على رغـم أنـف أبـي ذر...

وكان أبو ذر إذا حدَّثَ بها قال (رَغِمَ أنفُ أبي ذرٍّ) بفـتح الراء.

هذا الحديث يوضح حقيقة عقائدية لا مرية فيها ولا شبهه ، وجب على الجميع ممن ينتسب إلى أهل السنة والجماعـة أن يدينوا لله بها، وهي أن الكبائر والذنوب لا تنقض إيمان صاحبها بالكلية ولكنها تنقص من كمال إيمانه بقدرها..كما أن المعاصي مهما عظمت لا تحجب صاحبها عن الجنـة ولا تحكم له بالخلود في النار..حتى وإن مات مُصراً على فعلها فهو حينئذ في مشيئة الله عز وجل يفعل به ما هـو سبحانه وتعالى أهله فإن شاء عفـا عنـه وهـو الغفـور الرحيم... وإن شاء عذبه بها وهو العزيز الحكيم ... ثـم

يخرج من النار طاهراً مطهراً إلى الجنة. وذلك ما دام لقي ربه على التوحيد لا يشرك به شيئاً .

وهذه الحقيقة العقائدية يوضحها رسول الله صلى الله عليه لأبي ذر رضي الله عنه عندما ظنّ أن الكبائر تحول دون دخول صاحبها الجنة حتى وإن أتي بالتوحيد، فبيّن له النبيّ صلى الله عليه وسلم خطأ هذا الظنّ ويؤكد لـــه ثــلاث مرات أن من ماتَ على التوحيد دخل الجنة وإن أصـــاب من المعاصي والذنوب ما أصاب..فإن كان ممن عصمهم الله تعالى من اقتراف الكبائر فهو من أول الـــداخلين..وإن ماتَ مُصراً على كبيرة فهو في مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ما يتطهر به من ذنوبه ثم يدخل الجنة بإذن الله..فإن القلب إذا استنار بنـــور التوحيـــد وأشـــرق الإيمان في أركانه فمحالٌ أن يخرج من دائرة الإســـلام أو أن يحكم على صاحبه بالخلود في النار مهما اقترف مـــن المعاصي أو ارتكب من الذنوب. لذا فرَّق الله تعالى بـــين جملة الذنوب التى يقع فيها المؤمن ولا تنفـــي إســـلامه لله وبين الشرك به سبحانه..تأكيدا منه على أن الشرك شـــيء آخر غير كون العبد موحدا بالله مؤمنا برسوله وواقعٌ فـــى معصية في قوله سبحانه: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّـــذِينَ أَسْـــرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـــهِ إِنَّ اللَّـــهَ يَغْفِـــرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)** . (الزمر:٥٣).

وقوله في آية أخرى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً) (النساء:٤٨) إذن الشرك بالله ليس من الذنوب أصلا بل هو شيء آخر ، وأن مجرد الوقوع فى الذنوب لا يعني الشرك بالله .. فأبونا آدم خالف أمر ربه وأكل من الشجرة . .افأشرك ؟! حتى إن الكبائر – ما دُمتَ موحدا بالله – لا تزج بصاحبها في الشرك .

لقول الله تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات:٧) فالآية فرّقت بين الكافر والفاسق والعاصى ... وتكرار أداة العطف "الوار" تعني اختلاف المعطوف عن المعطوف عليه ؛ إذن الفسوق غير الكفر والعصيان شيء آخر غيرهما .

وهذا ما يقرره النووي رحمه الله فيقول : واعلم أن مذهب أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال، وإن كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول وإن

شاء عذبه بالقدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة فلا يخلد في النار أحدٌ مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل..كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من البر ما عمل .

وهذا المذهب هو الذي يوافق عدل الله ورحمة الله وحكمته.. ولو فرضنا (جدلا) أن هذا الحديث..

(........ ولو زنى ولو سرق........) مُفترى علي رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم فهل ما وصلنا إليه ليس ذنبنا ؟ وذنب ذلك الحديث ؟! فلماذا أخذنا بهذا الحديث وطبقناه أروعَ تطبيقٍ وركنا إليه ولم نأخذْ غيره ولم نطبِّقْ سواه ولم نحاول أن نعرف وأن نتدبر القرآن .. (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**) (محمد: ٢٤)..

إن القرآن الكريم مملوءٌ بآيات الترغيب والتي تُشعركَ أحياناً أنك أيًا ما فعلت فالجنةُ مثواكَ والخلودُ فى نعيمها هو مُنتهاكَ..ما دمت موحداً بالله معتقدا في رسوله ومصدقا لكتابه الذي تنزّل عليه فى ليلة القدر...فهل نفس القرآن لم ترتجفْ يدُك وأنت تقرأ فيه (**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ**) (ق:٣٠) (و) تقول هل من مزيد) تدبر فى هذه الواو..كان من المنطقى (فى دنيانا وعلى قدر عقولنا) أن يقال لجهنم : هل امتلئتى ؟ فتقول هل من مزيد ؟! ((فــ) تقول هل من مزيد) ان استبدال

الواء بالفاء هو انتظار جهنم بالرد حتى تسمع السؤال ولكن وجود الواو هنا لا يؤكد ابتداء الحديث بالسؤال (**هَلِ امْتَلَأْتِ**) ولا انتهاء الحديث بالجواب (**هَلْ مِن مَّزِيدٍ**) ؛ إذن فقد تكون جهنم تبدأ بالجواب الذى فى صيغة السؤال أيضا وكلما ألقي فيها من يُلقى تقول هل من مزيد ؟هل من مزيد؟ هل من مزيد ؟؟؟ فالواو أفادت الاقتران ولم تفدْ الترتيب فى الحدث فهى تردد هذا السؤال وتطلب المزيد من الضالين جوابا منها على السؤال وغير جواب علي السؤال؛فهل أخذنا بحديث الشفاعة ولم نرَ تلك الآية ؟! ولم ترتعد وأنت تقرأ في كتاب الله تعالى : (**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ**) (الحاقة: ٢٥-٢٩) فتجيء الطامة الكبرى بالأمر الذي لا مرد له من الملك فى عليائه إلى من لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون في قوله : (**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ**) (الحاقة: ٣٠- ٣٢) لماذا يا ربنا ؟ (**إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**) (الحاقة: ٣٣- ٣٤) وما النتيجة إذن ؟ (**فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ**) (الحاقة: ٣٥- ٣٧).

وغير تلك الآيات بالمئات والآلاف مما يرهبنا ويرعبنا ويفزعنا من هول اليوم الذي تشيب له الولدان وتقشعر لذكره الأبدان فلماذا لم ننسب ما وصلنا إليه من إنحطاط إلى فهمنا المغلوط للقرآن ؟ الجواب: لأن القرآن أخذناه بالكلية وليس بالجزئية ولم نأخذ بآيات الترغيب ونترك آيات الترهيب..لم نعترف بنصف السورة وننكر نصفها الآخر..فلماذا لم نفعل ذلك في السنة النبوية ؟ لماذا أخذنا بهذا الحديث دون سواه من آلاف الأحاديث التي تتوعدنا بعذاب أليم إذا خالفنا الفطرة واتبعنا الهوى ؟ لماذا صنعت لنا أحاديث الشفاعة مسلما إتكاليا - من وجهة نظر د/مصطفي- ولم يؤثر فينا حديث مثل الذي يقول فيه الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم لأصحابه عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويأتي..وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت علي خطاياه ثم طرح في النار ... يقول الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : معناه أن هذا حقيقة المفلس ..وأما من ليس

له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا ، وليست تلك حقيقة المفلس لأن هذا أمر زائل ومنقطع بموته..وإنما حقيقة الإفلاس المذكورة في الحديث الشريف هي الهلاك التام ؛ والمفلس هو المعدوم الإعدام المقطّع ، فتؤخذ من حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضعت علي سيئاته ثم ألقي في النار ؛ فتمت خسارته وهلاكه بإفلاسه ، فلماذا لم نرتجف خوفاً عند سماع هذا الحديث؟ ولماذا صممنا آذاننا بعد سماعنا لكلمة واحدة في حديث عن الشفاعة ؟...... لماذا ؟!

فما ذنب الحديث إذن ؟ وما ذنب البخاري ؟ هل من سمع بحديث نبوي يوجب الشفاعة لكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يسمع بقول رب العزة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) (الحج:١ – ٢)؟ أليست تلك الآية كافية أن تنسيك كل الأحاديث النبوية الشريفة بما فيها أحاديث إثبات الشفاعة ؟ فهل علمنا بالحديث ولم نعلم بالقرآن ؟!

وجاء في كتاب (الشفاعة) للشيخ المرحوم محمد متولى الشعراوي ص ١٩١ تحت عنوان: (دعاة علي أبواب جهنم) .

عن أبي إدريس الخولاني قال : سمعت حذيفة بن اليمـــان رضي الله تعالى عنهما يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ؛ وكنت أســـأله عـــن الشر مخافة أن يدركني.

فقلت : يا رسول الله ؛ إنا كنا في جاهلية وشر ؛ فجاءنا الله بهذا الخير ؛ فهل بعد هذا الخير شر ؟

قال : نعم.

فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟

قال : نعم وفيه دَخَنٌ.

قلت : وما دخنه؟

قال : قوم يستنون بغير سنتي ؛ ويهدون بغيـــر هـــديي ؛ تعرف منهم وتنكر.

فقلت: بعد ذلك الخير من شر؟

قال : نعم ؛ دعاة على أبواب جهنم ؛ من أجـــابهم إليهـــا قذفوه فيها.

فقلت : يا رسول الله ؛ صفهم لنا ؛ قال : نعم ؛ قوم مـــن جلدتنا ؛ ويتكلمون بألسنتنا.

قلت : يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟

قال : تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم.

فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟.

قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ؛ ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلـك ...أخرجـه البخارى ومسلم.

نخلص إلى أنه ليس من المعقول أن تكون أحاديث إثبات الشفاعة هى السبب في ما هبطنا إليه من مستوى أخلاقـي وتدني خلقي وانحطاط فكري وإتكاليـة ولا مبـالاة..فمَا وصلنا إليه كنا لابدّ واصلينهُ بدون تلك الأحاديث وبـدون البخاري ذاته..وإلا فقد كان البخاري أحق وأولى بالاتكالية وترك الأسباب والاعتماد علي شفاعة نبينا محمد فهو أكبر رواة الحديث ، هذا إذا كانت الشفاعة بـالمفهوم السـاذج الذى وصل عقول البعض منا بأنها مجرد أن تكفل لنبيـك الكريم قولك لا إله إلا الله محمد رسـول الله فتحـق لـك شفاعته !! هذا هراءُ ؛ الله ورسوله منه براءٌ وحاشا لله أن يكون موقف العرض الذى تخر له الملائكة سُـجدا تحـت عرش الرحمن بهذه البسـاطة وتلك السذاجة..إن الموقـف أشد وأجل؛ والخطب أكبر وأصعب ولابد للشـفاعة مـن قوانين وضوابط وروابط ومقدمات ومعطيات حتى تتحقق المعادلة التي هى غاية كل قاصد وهى رضى الله تعـالى وعفوه وسماحته وغفرانه ودخول جنته والنجاة من نيرانه وأليم عذابه.

والله نسأل التوفيق والرضا والهداية ... والجنة ووجهه الكريم ؛ منتهى كل غاية .

- **يقول د/ مصطفى محمود فى كتابه أيضا :**

ويبقى السؤال عن المقام المحمود ...ما هو ؟ ومن يكون الموعود به فى القرآن ؟... ومن كان المخاطب بهذه الآيات في سورة الاسراء ؟ (**وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلا سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**) الإسراء:٧٦- ٧٩)
والمخاطب هو محمد عليه الصلاة والسلام وحده لا سواه بلا شك..ولا أحد منا يعلم موجبات هذا المقام المحمود ولا حدوده فهو سر من أسرار الله .
ويذكر المفسرون أنه مقام الشفاعة العظمى ولا نخوض معهم إلتزاما منا بقول القرآن أن (**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً**) (الزمر:٤٤).

وأقول :

لقد ترجم كلمة (الشفاعة) بأنها الصفح والغفران والسماح والتغاضي عن المعصية وتحويل الميزان من الشمال إلى اليمين؟ - باستشهاده بقول الحق (**قل لله الشفاعة جميعا**) - إن هذا المعنى من إختصاص المولى جل في علاه ؛ ولا شك في ذلك..أما شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هى إثبات عملية الاستشفاع ذاتها أي طلب الشفاعة ؛ فرسولنا محمد صلي الله عليه وسلم ليس الشفيع - فالشفيع هو الله تعالى - ولكنه الشافع والمستشفع ؛ ليس الآمر ولكنه الطالب ؛ ليس بيده الأمر ولكنه مُقدّمُ الطلب .. فما قولنا فى من عاش و همه أمته .. و أسلم روحه لبارئها و همه أمته .. و غداً يوم المحشر يكون همه أمته ..جاء في بعض الروايات أن ملك الموت أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم ساعة الوفاة بأن الله خفّف عنه درجاتٍ من سكرات الموت .. فبكى رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال: اللهم ثقّل علي و خفف على أمتي ..يسجد نبي الرحمة بين يدي ربه فيقول : اللهم إني لا أسألك نفسي و لا فاطمة ابنتي و لا العباس عمي و لا صفية عمتي ؛ و لكن أسألك أمتي أمتي .. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه (....فيأتوني ، فيقولون : يا محمد

أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطى ، واشفع تشفع .. متفق عليه ؛ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا أي : جلوسا على الركب ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود ..رواه البخاري .

قال العلامة **الطباطبائي** مُفسراً هذه الآية بقوله : (وقد وصف سبحانه مقامه بأنه محمود ، وأطلق القول من غير تقييد ، وهو يفيد أنه مقام يحمده الكل.. ولا يثني عليه الكل إلا إذا استحسنه الكل، وانتفع به الجميع) .

وبالطبع لا نعلم شيئا في يوم الحساب ينتفع منه الجميع غير مضمون الشفاعة ؛ ولذا فسّروا المقام المحمود بأنه مقام الشفاعة الذي يحمده عليه جميع الخلائق .

وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال : سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال: (هو الشفاعة) .

وفى النهاية ؛ ما هو تصورنا لمعنى وشكل المقام المحمود ؟ إذا لم يكن هو مقام الشفاعة؟!

ويستشهد – المشفوع له بإذن الله– على نفي الشفاعة بالآية الكريمة:

(بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـــئَتُهُ فَأُولَـــئِكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: ٨١).

وأقول :

إن في الآية عطف بأداة العطف (الواو) (من كسب سيئة) و (أحاطت به خطئية) لاحظ عدم الحاجة لتكــرار الاســم الموصول (مَن) داخل القوسين الأخيرين؛ إذن المتحـــدَّث عنه هي نفس الفئة من الناس...هم الذين كســبوا الســيئة وأحاطت بهم الخطيئة ؛ وبالتالى بيَّنت لنا الآيـــة الكريمـــة شكل وحال الخالدين فى النار بأنهم الذين كسبوا الســيئات وأحاطت بهم الخطايـــا.. إذن مجـــرد اقتـــراف معصـــية وبالتالي كسب السيئة ليس معناه الخلود فـــى النـــار ؛ لأن الشرط الثاني لم يتحقق وهو أن تحط بهـــم الخطيئـــة..ولا يفوتنا الحديث باستفاضة عن معنى **(الاحاطة)** حتى يتضح المعني ؛ فأحطت بالدرس أي: فهمته فهما مستوفيا: وأحاط بك الشيء أي: طوَّق عقلـــك وفكـــرك واســـتحوذ عليـــك

استحواذا.. وفى ذات المعني يقول الملك فى غير موضع (ألا إنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) (فصلت:٥٤) المحيط: ما يحيط بالشيء ويلتف دوره من جميع الجهات كالحائط بالبيت ، والمحيط بالشيء : العارف به الحافظ لمصالحه .

والله تعالى هو المحيط الحق : لأنه تعالى قريب قيوم قابض باسط ولي حميد منان بالنعم التي تتجلى من غنى أسماءه الحسنى المتحدة بالذات بكل كمال بالوجود ، حتى صارت الكائنات في كل شرفها وكمالها ونعمها خاضعة له طالبة منه ما به بقائها وصلاحها ، فهو تعالى له إحاطة قيومية وبسط وقبض وقضاء حاجات ونعم بمنّه حتى تكثر ويستحق ذكر فضلها وشرفها بكل منّ وحمد والإحاطة : بالمعنى المادي بالعزل والانفصال أو دون السيطرة على المركز ونفوذ إرادته فيه لا تصدق على الله تعالى ، بل الله لما كان وجوده واسع لا يحده شيء وأن علم الله وقدرته وإرادته بكل شيء نافذة ، وأن كل وجود مظهر لتجلي حقيقة إشراق الذات المقدسة الإلهية بما لها من الكمال النافذ في وجود الأشياء مدد وعطاء لنور وجودها وكمالها من الأسماء الحسنى وبما يناسب حالها تصل لهداها ولغايتها بأجلها ، فهو سبحانه محيط قيوم قريب وقيام كل شيء بنور تجلي كرمه وبقاءه بفضله ونعمه .

فهو المحيط تعالى: بكل شيء من كل جهة بالقهر و الغلبة وهي غلبة مدد وعطاء وعلم وقدرة وكل اسم من الأسماء الحسنى يحيط بالشيء من جهة تجليه فيه ، فكل شيء سواء الكون كله أو موجود من موجداته فهو مظهر لتجلي الأسماء الحسنى ومحتاج لفيضها وتجليها وبيان لإحاطته بها فسبحان الله المنان القريب القيوم المحيط .

- **(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)** (النمل:٢٢).

إن الهدهد لما علم أنه سوف يُعاقب من سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا السلام أثبت أنه على قدر كبير جدا من الذكاء فغير أنه مكث غير بعيد – وهذا ذكاء منه – بدأ يلفت نظر سيدنا سليمان إلى أنه ما تأخر عنه إلا بسبب الخبر المهم جدا الذى أتى به..ولماذا قال الهدهد **(أحطت)** بالتحديد ؟ وما الدلالة ؟ إن الهدهد مُسخر لسيدنا سليمان وهو بذلك يعرف أن باقى الطير مسخر معه والجن كذلك والريح وكل ما وهب الله تعالي لسيدنا سليمان من ملك لا ينبغي لأحدٍ من بعده ؛ فبذلك أدرك الهدهد أن سيدنا سليمان قد يكون أوتي بالخبر من قِبل طائر آخر أو من قبل الجن أو غيرهم ؛ فبدأ الحديث بسرعة البديهة وما أوتي من ذكاء بكلمة **(أحطت)** أي: يا سليمان على رسلك عليَّ ..لقد تأخرت عنك لأني

جئتك بخبر يقين وقد أحطت به ، وإن كان أحد غيـري قد سبقنى إليك بهذا النبأ فإنى قد جئت بالتفاصيل التي لم يعرفها غيري فأنا **أحطت** بالخبر إحاطة وطوقته تطويقا ؛ أي أتيتك بكل المعلومات والأخبار عن ذلك الحـدث الأكيد.. والدليل أنه قال له **(بما لم تحط به)** ولم يقل له أحطت بما لم تعرفه..فنفى الاحاطة عن سليمان من قبل الهدهد دليل على توقع الهدهد أن يكـون سـليمان قـد عرف الخبر ؛ لذا قال: ما لم تحط به تحسُّباً لذلك..تبقى لنا الدلالة اللغوية : فقد دلت الكلمة لغويا على أنها تعنى الإلمام بالشيء من كل جوانبه واسـتيفاء واستقصـاء أخباره ؛ والعكس صحيح أي: إذا أحاط الشيء بـك ؛ فإنه قد تملك منك تملكا واستدار حولك استدارة وتمكن منك تمكنا ؛ ومنها نشتق (محيط الـدائرة)..إذن نحـن نخلص من هذا الشرح المستفيض لهذه الكلمة المهمـة جدا (**(وأحاطت)** به خطيئة) إلى أن الخلود فـى النـار وعدم جدوى الشفاعة لا يكون لكل من كسب السيئة بل هو لكل من كسب السيئة بشرط أن **تحيط** به الخطيئة.. والدليل علي أنهم ليسوا بخارجين منها ولا شفاعة لهـم هو الآية السابقة لهذه الآية مباشرة يقول الله تعالى علي لسانهم **(وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْـدُودَةً قُـلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ**

عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٨٠) والله أعلى وأعلم وأحكم .

يقول د / مصطفي محمود فى كتابه :

أما الشفاعة بمعنى هدم الناموس وإخُراج المـذنبين من النار وإدخالهم الجنة .. فهي فوضى الوسـايط التـى نعرفها فى الدنيا ... ولا وجود لها في الآخرة ... وكل ما جاء بهذا المعني في الأحاديث النبوية مشكوكٌ فـي سـنده ومصدره ! لأنه يخالف صريح القرآن.. ولا يعقل من نبي القرآن أن يطالب بهدم القرآن..!!

- إن المرحوم - بإذن الله - الدكتور مصطفي محمود لم يُحطْ بمعني كلمة ناموس..فالناموس هو القانون والقـانون له واضعٌ ؛ وواضـع قـانون الحسـاب هـو صـاحب الحسـاب..وصـاحب الحسـاب بيـده الثـواب وبيـده العقاب..ومن بيده الثواب والعقاب بيده أن يفعل ما يشاء .. ومن أذِنَ لمذنبٍ غير مشركٍ به سبحانه أن يـدخل الجنـة برحمته لم يهدمْ الناموس وإنما سنَّ له ناموسا آخر سـمّاه ناموس الرحمة .. **فهل نرفض أن يكون الرحيمُ رحيما ؟!**

- يقول (الوسايط) وهى الوسائط.. وهى أيضا خطأ لغوي حتى بعد هذا التصحيح لأن الوسائط جمع واسطة وهو يريد أن يتحدث عن معنى (الوساطة) أما الواسطة فهى الوسيلة المادية مثل وسيلة الركوب ؛ فإذا قلت : دخلت إلى المدير بواسطة فلان : ففلان هذا هو وسيلة الركوب التى وصلت بها إلى مكتب المدير ؛ أما الصحيح فهو : دخلت إلى المدير بوساطة فلان...

- ثم إنه يُشكّك في سند ومصدر كل الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن مضمون الشفاعة حيث يقول : وكل ما جاء بهذا المعني في الأحاديث النبوية مشكوكٌ في سنده ومصدره لأنه يخالف صريح القرآن .. وهذا خطأ كبير جدا ؛ فهو من ناحيةٍ أراه تعديًا علي قدسية الأحاديث النبوية الشريفة بدون سند أو دليل ؛ ومن ناحية أخرى فهو عدم فهم للأحاديث ؛ لأنه يرى تعارضا بينها وبين مفهوم الشفاعة في القرآن.. ولا تعارض بينهما إطلاقا ؛ فالقرآن ينفي الشفاعة عن قومٍ لوجود علةٍ ما ؛ ويأتي الحديث ليجعل من ضد هذه العلة شرطا لنيل الشفاعة ؛ إذن هي قمة التطابق بين القرآن والحديث...

فمثلا .. يقول القرآن الكريم : **(أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ)** (يس : ٢٣).

وكذلك قول الحق (**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**).(النساء: ١٤٥).

فعلة وسبب نفي الشفاعة في الآية الأولي هي الشرك بالله تعالى واتخاذ آلهة من دونه سبحانه وفي الثانية علة النفاق مع الله تعالى ألقت بهم في أسفل دركٍ من النار دون نصير ؛ وفي حديث أبي هريرة قلت: يا رسول الله.من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال: (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه ونفسه) فالعلة التي نفت الشفاعة في الآية كان مضادها هو الشرط الذي تعلقت به الشفاعة في الحديث ؛ فإذا كان الشرك بالله تعالي ونفاقه ينفي الشفاعة فإن من موجباتها التوحيد بالله وإخلاص القلب والعمل لوجه لله تعالى.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : من سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة ؛ وفي صحيح البخاري عن جابر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي.

والقرآن يقول : (أقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَّحْمُوداً).(الإسراء : ٧٨-٧٩).

إذن لا تعارض بين القرآن والحديث في موضوع الشفاعة ، وبالتالي لا داعي للتشكيك في مصدر وسند أحاديث الشفاعة.

• ويقول د / مصطفى محمود فى تساؤل استنكاري: ومَن ذا الذي يجرؤ أن يُعدِّلَ حكما حكم به رب العالمين؟

وأجيب أنا على سؤاله : اللـــه ...

فالله تعالى الذي حكم بحكم ؛ هو سبحانه نفسه القادر على تعديل حكمه ؛ فالله تعالى الذي كتب المرأة عقيم هو سبحانه الذي وهبها الطفل بعد أن دعته وقالت : يا رحيم. .. ونتطرق هنا لخطأ شائع فى الدعاء القائل (اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه) فالقضاء إذا نزل لا تطلب اللطف فيه بل عليك أن ترضى به كما هو..فطلب اللطف اعتراض ضمني منك وسخط على

قضاء الله ؛ وإعتقاد منك بأن الله لم يكن لطيفا بك في قضائه سبحانه عليك ! حاشا لله؛ أما أن يكون القضاء لم ينزل بعد ؛ بل مازال شيئا متوقعا للمقدمات التي تراها بعينيك؛ فلك أن تطلب ما تريد ؛ لك أن تطلب من الله تعالى أن يقيك من كل ما قد يحدث لك من شر ؛ فسيدنا يوسف عليه السلام حينما خُيِّر بين السجن وبين ما دعوه إليه قال : **(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)** (يوسف:٣٣). هو عليه السلام لم يتدارك بأن يطلب من ربه أن ينجيه مما يدعونه إليه وينجيه من السجن أيضا فأعطاه الله ما سأل وأدخله السجن! وحُكي أن يوسفَ عليه السلام لما دعا ربه قائلا:(السجن أحب إلي) أوحى الله إليه: يا يوسف أنت حبست نفسك حيث قلت السجن أحب إليّ ، ولو قلت العافية أحب إليّ لعوفيت.

(القرطبي: ص١٢١) ... فالله تعالى الذي حكم بالحكم هو سبحانه القادر أن يحكم بتغيير الحكم ؛ وليس تعديل الله تعالى لحكم حكم به مرادفا لتصليح خطأ والعياذ بالله ؛ بل هو لحكمته سبحانه أن يعرفنا ويوضح لنا مدى رحمته ولطفه ومنّه علينا..فمن وجبت عليه النار بعمله ثم أدخله الله تعالى الجنة برحمته ؛ فهنا غيَّر الله تعالى حكمه العادل على ذاك الرجل بحكمه الفاضل عليه ليبين لنا مدى

رحمته سبحانه وتعالى بنا؛ وأن هذا الرجل كان يحق عليه دخول النار لكن الله بفضله قد أدخله الجنة : فكان تغيير حكم الله عليه إظهارا منه سبحانه لمدي رحمته بنا ومنه علينا...

-ومن الأحاديث التى تذكر شفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ والتى إن حاولنا أن نشكك في بعضها فلا نستطع أن نشكك فيها بالكلية .

- **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**

من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة . رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير .

- **وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع (رواه مسلم في صحيحه) .

- **عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال :-**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- خُيِّرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطرٌ من أمتي الجنة ،فاخترت الشفاعة

لأنها أعمُّ وأكفى . أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ، ولكنها للمذنبين المتلوّثين الخطائين. (رواه الإمام أحمد وابن ماجة وقال الألباني : صحيحٌ دون قوله : لأنها)..

- **وأيضًا ما جاء عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنه قال :** قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة أنْ لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالِصا من قلبه ، أو نفسيه . رواه البخاري.

ولا يفوتنا هذا الحديث دون الوقوف والتأمل فى قوله صلى الله عليه وسلم (**خالصا من قلبه**).
لأن الدكتور / مصطفى محمود يقول : (كيف تحل الشفاعة المحمدية لعبد لم يصنع أكثر من قوله لا إله إلا الله بلسانه مرة أو مرات في حياته) ؛والفرق شتان شتان بين القول باللسان والقول باللسان مع تصديق القلب والإخلاص بما ينطق اللسان فإن إخلاص لا إله إلا الله محمد رسول اله يقتضى الامتثال لكل ما أمر به الله تعالى ووضحه رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم والإنتهاء عن

كل ما نهى الله تعالى عنه..إذن مجرد (خالصا من قلبه) هي الاستسلام لأوامر الله تعالى ونواهيه ؛ تسليم الرضا بقضائه لليقين بحكمته..أما من قالها بلسانه فقط وينتظر شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فهذا هو الهراء بعينه – على حد قول د/ مصطفى محمود– وبالطبع فإنه محق في هذا التشبيه والله ورسوله براء من أن تكون الشفاعة بمثابة الجائزة الكبرى في المسابقة الرخيصة..فالجزاء لابد وأن يكون من جنس العمل ؛وما كانت الشفاعة إلا فضلا من الله تعالى وتكريما لرسوله ومنًا على المشفوع فيهم.

إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقف في حضرة الذات الإلهية في رحلة المعراج ؛قاب قوسين أو أدنى في موقف أقل ما يوصف به أنه صلى الله عليه وسلم لم يدر ماذا يقول وكيف يتكلم ؛ حتى ألهمه الله تعالى أن يبدأ بقوله (التحيات لله) ويبدأ الحوار بين خالق الخلق وسيد المخلوقات وبعد أن يسلم عليه ربه بقوله سبحانه (السلام عليك أيها النبي) كأعظم تشريف يحدث لبشر على الإطلاق منذ بدء الخليقة وحتى اليوم المجموع له الناس..ماذا يقول ؟ وبم يرد ؟ هل قال : السلام عليّ؟ أم السلام على أهلي ؟ أم السلام على فاطمة ابنتي؟ أم العباس عمي؟ أم أبي بكر صديقي؟ لا هذا ولا هذه ولا هاتها ولا

تلك ولا كل هؤلاء..قال: **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** ..يا الله !! أفي مثل هذا المكان وهذا المقام وهذا المقال وهذه اللحظة وتلك الرهبة لا تنسى أن تذكر عباد الله الصالحين ؟! ألا تنسى أن تقول (**علينا**) فمن المنطقي أنه محال أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد (نا) التي تفيد تعظيم المتكلم لنفسه..فهو يعرف أنه في حضرة مَنْ – في حضرة ملك الملوك ؛ في حضرة رافع السماوات بلا عمد ؛ في حضرة الجبار الواحد الأحد – وحاشا له أن يعظم نفسه أمام رب العباد ؛ وكيف يفعلها وهو لم يعظم نفسه يوما أمام أحد العباد..فهل في هذا الموقف يا رسول الله لا تنسى أن تسلم علي عباد الله الصالحين من أمتك؟! كم أنت رؤوفٌ وكم أنت رحيمٌ وكم كنت رحمة للعالمين يا رسول الله ؛ فهل من سلم على أمته في حضرة الله سيعود ليتنكر لها أمامه ؟! **أيكثر عليه أن يكون شفيعاً لها يوم العرض على الملك ؟!**

- بعد رحلة الطائف المؤلمة التي دمي لها قلبه الشريف قبل جسده؛ يسير والحجارة تمطر عليه مطرا..شغله الشاغل أن يمسح دمه الشريف من فوق وجهه حتى لا ينزل على الأرض لأن الله تعالى وعده إذا نزل منه دم على أرض ؛عذب الله تعالى أهل تلك الأرض ! فينزل

عليه أمين السماء جبريل ومعه ملك الجبال..السلامُ يقرؤك السلامَ ؛ معي ملك الجبال ينتظر أمـــرك ؛ فيقـــول ملــك الجبال السلام عليك يا رسول الله ؛ بعثني ربي إليك مُرني ... مُرني بما تريد ؛ فوالله لو أمرتني أن أطبــق علــيهم الأخشبين لفعلت (الأخشبان جبلان عظيمان بمكة المكرّمة) فيقول الرسول الكريمُ صلى الله عليه وسلم ، يقــول نبـــي الرحمة صلى الله عليه وسلم ؛ يقول معلم الأجيال ومربيها ؛ يقول من تربى علي يد الذات الإلهية: لا بل دعهم عسى الله أن يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله لا يشرك به شيئا ؛ - في حين قال سيدنا نوح عليه وعلى رســـولنا الســـلام داعيا علي قومه في قول الله تعالى : (**وَقَالَ نُـــوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**) (نوح:٢٦) .

فيرد جبريل عليه ويقول : يا رسول الله صدق من ســـماك رؤوفا رحيما..فإذا كان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى الدنيا - مع من آذوه وعذبوه واســـتهزأوا بـــه وتنكروا له فكيف حاله - فى الآخرة - مع من آمنوا بـــه واهتدوا بهديه واستنوا بسنته واقتفوا أثره إلى يوم الدين؟!

- **في رواية قتادة عن أنس قال** : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؟

قال: فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هناكم (أي بغيتكم) فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض قال : فيأتون نوحا فيقول : لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناكم وذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن إئتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال : فيأتون موسى فيقول : لست هناكم وذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن إئتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدا ...عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيأتونني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال : يا محمد ارفع ؛ قل يسمع ؛ سل تعطه ؛ اشفع تشفع ... فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ..ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي: ارفع يا محمد ؛ قل يسمع ؛ سل تعطه ؛ اشفع تشفع .. فأرفع

رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لـي حـدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنـة - أخرجـه البخـاري ومسلم.

- وفي حديث ابن عباس من رواية عبد الله بن الحارث عنه عن أحمد..فيقول عز وجل: يا محمـد مـا تريـد أن أصنع في أمتك؟ فأقول: يا رب عجّل حسابهم..

يقول دكتور/ مصطفى محمود نفسه فى كتابه (علم نفس قرآنى جديد) فى مقدمة الكتـاب : سيداتى وسادتي ... هل تعلمون ما معنـى أن الله موجود ؟؟؟

معناه أن العدل موجود.
معناه أن الرحمة موجودة.
معناه أن المغفرة موجودة ....
معناه أن الكرم هو الذي يحكم الوجود وليس البخل.

وأقول:

العدل وعرفنا بأنه إعطاء كل ذي حق حقه ؛
بقيت لنا الرحمة
وبقيت المغفرة
وبقي الكرم ...
الكرم الذى اتضح جليا بتضاده مع البخل ...
إذن ما معنى هذه الرحمة وتلك المغفرة وهذا الكرم؟

وأترك لكم الإجابة ....

• ومن الآراء التي كتبت حول الشفاعة المحمدية :

- قال الشيخ المفيد محمد بن النعمان العكبري- ت ٤١٣ هـ اتفقت الإمامية على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشفع يوم القيامة لجماعة من مرتكبي الكبائر من أمته ، وأن أمير المؤمنين عليه السلام يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته ، وأن أئمة آل محمد عليهم السلام كذلك وينجي الله بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين..

وقال في مكان آخر : ويشفع المؤمن البر لصديقه المؤمن المذنب فتنفعه شفاعته ويشفعه الله . وعلى هذا القول إجماع الإمامية إلا من شذ.

- **قال الشيخ محمد بن الحسن الطوسي- ت ٤٦٠ هـ**

في تفسيره (التبيان) : حقيقة الشفاعة عندنا أن تكون في إسقاط المضار دون زيادة المنافع ، والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيشفعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصراط لما روي من قوله عليه السلام : ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي والشفاعة ثبتت عندنا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكثير من أصحابه ولجميع الأئمة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين.

- **وقال العلامة المحقق الفضل بن الحسن الطبرسي**

ت ٥٤٨ هـ - وهي ثابتة عندنا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأصحابه المنتجبين والأئمة من أهل بيته الطاهرين عليهم السلام ولصالحي المؤمنين وينجي الله بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين ..

- **وقال العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي- ت ١١١٠ هـ**
أما الشفاعة فاعلم أنه لا خلاف فيها بين المسلمين بأنها من ضروريات الدين وذلك بأن الرسول يشفع لأمته يوم القيامة ، بل للأمم الأخرى ، غير أن الخلاف هو في معنى الشفاعة وآثارها ، هل هي بمعنى الزيادة في المثوبات أو إسقاط العقوبة عن المذنبين ..

- **قال القاضي عياض بن موسى- ت ٥٤٤ هـ**
مذهب أهل السنة هو جواز الشفاعة عقلا ووجودها سمعا بصريح الآيات وبخبر الصادق ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين ، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها.

- **ويقول العالم ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي** : وأما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها ، وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة فأولئك يرجون رحمة الله ، ومعتقدهم أنها تنال العصاة من المؤمنين وإنما ادخرت لهم .

- ويقول شيخ الأزهر الدكتور / **محمد سيد طنطـاوى** فـي جريدة الأهرام المصرية بعددها الصادر في يوم الاثنـين ٢٩ يونيو من ٢٠٠٩م بعنوان " تكريم الله تعـالى لنبيـه محمد صلي الله عليه وسلم" **الشفاعة العظمى** ...

في مقال، غير قصير ، كان هذا نصه : ومن أعظم مظاهر تكريم الله عز وجل لنبيه صلي الله عليه وسلم أنه اختصه بالشفاعة العظمى وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الشفاعة العظمى التى منحها الله تعالى لنبيه فى قوله(**أَقِمِ الصَّـلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْـرِ إِنَّ قُـرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَـى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**) .

سورة الاسراء: الآيتان ٧٨ – ٧٩

أي داوم أيها الرسول الكريم على الصلاة من وقـت زوال الشمس عند الظهيرة إلى غسق الليل ؛ أى : إلـى وقـت ظلمة الليل ؛ ويشمل ذلك صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ؛ وقوله سبحانه " وقرآن الفجر" المراد به: صلاة الفجر : أى داوم أيها الرسول الكريم علـى أداء صـلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وداوم أيضا على صلاة الفجر فإن صلاتها مشهودة من الملائكة ومن الصـالحين من عبد الله... داوم أيضا أيها الرسول الكـريم علـى أن

تجعل جانبا من الليل لصلاة النافلة والتطـوع عســى أن يبعثك ربك - بسبب هذه العبادات- مقاما محمودا ومكانــا عليًا وشافعا لأمتك يوم القيامة ..وقد ذكر كثير من العلماء أن المراد بالمقام المحمود هنا : هو مقام الشفاعة العظمى يوم القيامة ؛ ليريح الناس من الكرب الشديد فــي موقــف الحساب.

وفى الحديث الشريف (إذا كان يوم القيامة ، كنــت امــام الأنبياء وخطيبهم ؛ وصاحب شفاعتهم ولا فخــر) وفــي حديث آخر أنه صلي الله عليه وسلم سُئل عن معنى قولــه تعالى : (عسى ربك أن يبعثك مقاما محمودا) - فقــال : (هو المقام الذى أشفع فيــه لأمتــي) ... وفــي صــحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن الناس يوم القيامة يكونون جماعات ، تتبع كل جماعة نبيها وتقول كل جماعة يا فلان اشفع ، فيقول : لست بصاحب ذلــك ، حتى تنتهي الشفاعة إلى الرسول صلى الله عليه وســلم - فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا....وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تكون كما جاء في بعض الأحاديث لأهــل الكبائر من أمته صلى الله عليه وسلم ولأقوام آخرين مــن أمته تساوت حسناتهم بسيئاتهم ؛ فيشــفع فــيهم فيــدخلون الجنة.

- **وفى الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم :**

" لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأنــ اختبــأت دعوتى لتكون شفاعة لأمتى فى الآخرة " .

وشفاعته صلى الله عليه وسلم ترفع بها الدرجات وتقال بها العثرات وتقضى بها الحاجات ويحتاج إليها جميع النــاس يوم القيامة حتى الفضلاء والمقربون.

والشفاعة لا تكون إلا باذن من الله عز وجــل ... ومــن الآيات القرآنية التى تؤكد هذه الحقيقة ، قولــه ســبحانه : **(اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ.....)** (البقرة:٢٥٥).

أي : لا تقبل شفاعة انسان لغيره إلا من بعد اذن الله تعالى ومشيئته.. وقوله تعالى : **(يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً)** (طــه:١٠٩) وقولــه سبحانه **(كَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى)** (النجم:٢٦) .

وقد أمرت شريعة الاسلام أتباعها فى الشفاعة مــن أجــل نصرة الحق ، ونهت عن الشفاعة التى من أجــل نصــرة الباطل .. قال تعالى : (من يشفع شفاعة حسنة يكن لــه

نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا)... والمعنى : من يشفع شفاعة حسنة في أمر يترتب عليه خير وعدل ، يكن له الثواب العظيم من أجل هذه الشفاعة الحسنة وله جزاء عظيم من خيرها وأثرها الطيب؛ ومن يشفع شفاعة سيئة - وهى ما كانت وساطة في المحاباة الفاسدة وفيها الابتعاد عن الحق والعدل وإعطاء كل ذي حق حقه- يكن له نصيب من شرها وسوء عاقبتها... وكان الله عز وجل وما زال على كل شيء مقتدرا؛ وسيجازي الذين أساءوا بما عملوا ويجازي الذين أحسنوا بالحسنى.

وقد وردت أحاديث متعددة تحض على الشفاعة الحسنة التى تحق الحق وتبطل الباطل والتى تنصر المظلوم وتمنع الظالم عن ظلمه ... ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه صاحب حاجة أقبل على جلسائه فقال: " اشفعوا تؤجروا" ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب) ... نسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم...؛

إلى هنا ينتهى نص حديث فضيلة شيخ الأزهر، دكتور / طنطاوى ، ونحن نخلص منه بذهاب فضيلته إلى تأييد وجود الشفاعة العظمى وتشفيع الله تعالى محمدا صلى الله

عليه وسلم فى أمته من بعد إذنه واستيفاء الشــروط فــي المشفوع في حقهم ما داموا قد لقوا ربهم لا يشركون بــه سبحانه أحدا..والله نسأل أن نكون من المرضي عــنهم ؛ المستوفين لمؤهلات الاستحقاق ؛ المأذون لهم ؛ والمشفوع فى حقهم.

خاتمـــــة....

وفى النهاية أقول لكم :

إن كلَّ ما سبق ما كان إلا (محاولة للفهم) إن كلَّ ما سبق ما كان إلا (تفكيراً بصوتٍ مرتفـع) ومـا كـان إلا استفتاءًا للعقل واستقراءًا بالقلب وتحكيماً للضـمير ؛ فـى نطاق التدبر القرآنى بما يتلائم والعقلَ البشـري...كانـت محاولة فهم لغوية ومحاولة تصور عقلية للشفاعة المحمدية فى مشهدٍ هو فى علمِ الغيب؛ ولا يعلم خبايـاه إلا عـلاَّم الغيوب والمطلع علـى السـر وأخفـى؛ عـالم الغيـب والشهادة..وإذا كنتُ قد ذهبتُ إلى وجود الشفاعة قطعاً فما كانت تلك فتوى مِنِّى ؛ فالموضوع لا يحتاج إلـى فتـاوى للإثبات أو النفي..فالشفاعة واضحة وضوح الشمس فـى كبد السماء لا ينكرها إلا أعمى...أمـا مفهـوم الشـفاعة الحقيقي فليس باعثا على الإتكالية والتواكـل واللامبـالاه وترك السبب ؛ وإنما للشفاعة شروطها التـى لابـد وأن تُستوفىَ ومسوغاتها التى لابد وأن تُساغ وأسبابها التى لابد من الأخذ بها وأفعال لابد من فعلها..وما كانت مسـوغات نيل الشفاعة ومؤهلاتها غير **تقوى الله والعمـل الصـالح** سبحان الله .. فإذا كان أول فعل أمر نـزل مـن القـرآن

الكريم هو (اقرأ) فإن آخر فعل أمر نزل في آخر آية هــو (اتقـــوا) في الآية الكريمة : (**واتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُــمْ لاَ يُظْلَمُــونَ**) (البقرة:٢٨١) .

حتى وإن ذهب البعض إلي أن آخر آية نزلت مــن القرآن الكريم هي آية الدين ؛ فهذالم ينفـِ قولي بأن آخــر أمر في القرآن هو (**اتقـــــوا**) ففي نهاية آيـــة المداينـــة الكريمة يقول المولى سبحانه: (......**وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) (البقرة:٢٨٢).
وإذا كانت آخر آية نزلت هي (... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّــهَ غَفُــورٌ رَّحِيمٌ**) (المائدة:٣).

فليس بها فعل أمــر ؛ وهــذا يجعــل الأمــر فــي (**اتقـــــوا**) في الآية الأولى أوالثانية هو آخر أمــر فــي القرآن علي الإطلاق ... وأمــا الــركن إلــى الشــفاعة والإطمئنان لها والأمن بها مع ترك الأسباب إتكالاً عليهــا وإعتقادا منا بأنها مرادفة للوساطة في دنيانا فتلك المصيبة الكبرى والفهم الخاطيء لها..

وحسبنا في ذلك قول ربنا (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (الزمر:٤٧).

وأقول لكم أيضا:

لم أكن هنا لأدّعي علماً ، ولم أنكرْ جهلا...فلولا الجهلُ ما حاولتُ الفهمَ .. ولولا المحاولاتُ ما نجحتْ التجارب ، وما أصابت الإجتهادات.

يقول رب العزة سبحانه وهو أصدق القائلين :
(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤).

فأشهدُكَ يا ربي أني سمعتُ هذه الآية الكريمة ؛ فاشهدْ يا ربِّ أني حاولت أن أعمل بها ؛ حاولنا يا رب أن نتدبر قرآنك فمننتَ علينا بما نحن أهله ..فما أصبنا فبفضل منك سبحانك ؛ ولا حول ولا قوة إلا بك ؛ وما جهلنا فبذنوبنا التي أثقلت كاهلنا وحالت بيننا وبين كشفكَ لنا عن حقائق الأمور وخفايا حكمتك وعظيم رحمتك؛ سبحانك..ومن ذا الذي يقدر علي أن يحيط بعلمك ؟! وقرآنك وآياتك وحكمتك وسلطانك ولغتك وأحكامك

وأسمائك الحسنى وصفاتك العليا وجبروتك وقدرتك وعظمتك وفضلك وعفوك وصفحك وجنتك ونارك ونعيمك وعذابك وحسابك وثوابك وعقابك..ولطفك رغم ظلمنا أنفسنا ؛ وعفوك رغم ذنوبنا ؛ وحلمك علينا رغم تمادينا..يا ربِّ جاهلون نحن فعلمنا ؛ وضالون يا رب فاهدنا..خائفون يا رب فأمِّنّا..تائبون يا رب فاقبلنا وعائدون يا رب فقابلنا..نرجو رحمتك ونخشى عذابك نرجو رحمتك ونخشى عذابك ..

اللهم إنك قلتَ وقولك الحق : **أنا عند ظن عبدي بي ..** روى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا يموتن أحدكم حتى يُحسنَ ظنه بربه ؛ فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة) . فكن يا رب معنا فقد ذكرناكَ ، واذكرنا يا رحيم في نفسك فقد ذكرناك في أنفسنا ؛ وذكرناك في ملإ فاذكرنا في الملإ الأفضل ؛ وتقربنا منك الشبر فتقرَّبْ الذراعا ؛ وتقربنا إليك الذراعا فتقرَّبْ يا ربُّ الباعا ؛ وأتيناك ماشيين فلتأتي يا رب هرولة ؛ سبحانك **ليس كمثلك شيء** ؛ وها نحن هنا نظن فيك الظن الحسن يا رب... بأنك الشفيع الوحيد سبحانك فاشفع لنا لديك بما علمت من خفي ضمائرنا وخشيتنا من هول العرض عليك ؛ ورهبتنا من الوقوف

بزلاتنا بين يديك... كن لنا لا علينا ... عاملنا بالفضل والإحسان قبل العدل والميزان.. عاملنا باسمك الرحيم ... باسمك الرحيم... باسمك الرحيم...

وأقول لكم أخيراً:

جاء في كتاب الشفاعة- للشيخ محمد متولى الشعراوي :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أشراط الساعة ثلاثا : إحداهن أن يُلتمسُ العلمُ عند الأصاغر... قال نعيم : قيل لإبن المُبارك : من الأصاغر ؟ قال : الذين يقولون برأيهم ، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير...

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم فإذا أخذوه عن صغارهم وشرارهم هلكو..

وعن عبد الله رضى الله عنه قال : إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم ؛ فإذا العلم كان في صغاركم ؛ سفه الصغير الكبير.

- قال أبو عمر : إن الصغير المذكور في حديث عمر وما كان مثله من الأحاديث إنما يُراد به الذي يُستفتى ولا علمَ عنده ؛ وإن كان الكبير هو العلم فى أي شيء كان.

- وقيل : الجاهل صغيرٌ وإن كان شيخا ، والعالم كبيرٌ ولو كان حدثا...

أما أنا فقد كنتُ هنا لا لأعلّمَ علماً وإنما لأصحّحَ خطأً ؛لم أكن هنا لأصدر فتاوي جديدة وما حلّلت شيئا وما حرّمت آخر ..وإنما كتبت ما فهمت ؛ فلعله كان خطأ ولعله كان الصواب ؛ فإما أجرٌ من الله تعالي وإما أجران إثنان...

والله تعالى أسألُ ألا أكون من الأصاغر أشراطِ الساعة.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ فى الأولين وفى الآخرين نبي الرحمةَ المُهداة منكَ سبحانكَ للعالم أجمعين النبي العربي القرشي الخاتم الأمين وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلي يوم الدين.

وآخرُ دعوانا...أنْ بسم الله الرحمن الرحيم

(الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

نسألكم الفاتحة لروح المشفوع له بإذن الله
د /مصطفى محمود.

{ قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (المائدة:١١٩).

محمد فيَّاض
في ذي الحجة
من ١٤٣٠ هجرية



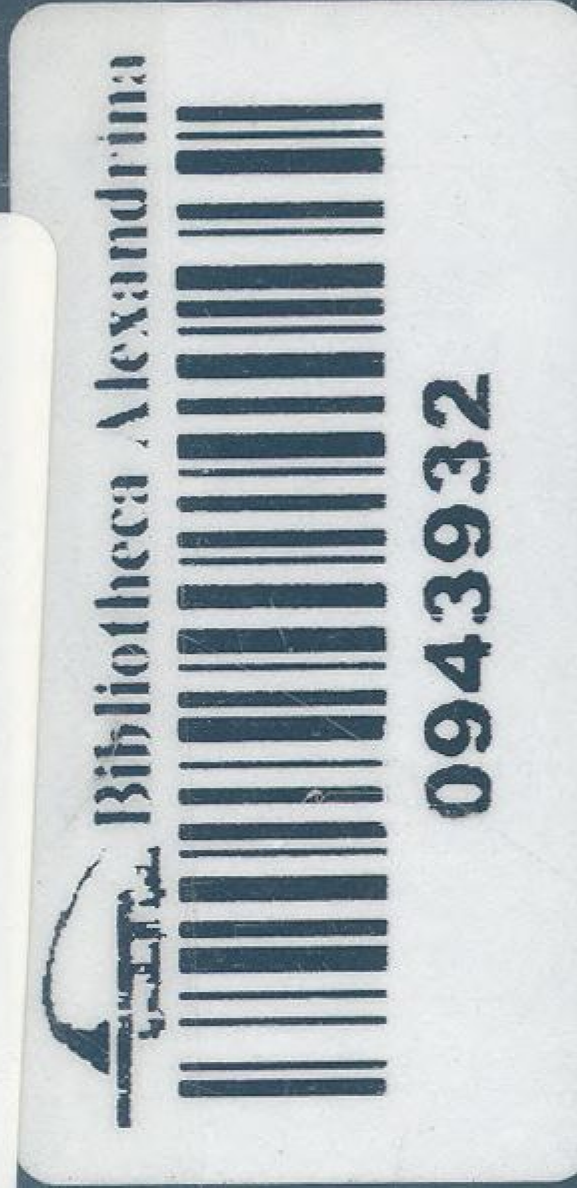
رغم مرور عشرة اعوام كاملة علي صدور كتاب (الشفاعة) للمغفور له باذن الله - الدكتور مصطفى محمود فقد قررت الرد عليه الآن !

ورغم صدور عدة كتب للرد علي نفس الكتاب...بيد انني هنا وبعد ان اطلعت على اكثرها وجدت انها ذات طابع قاس جدا فى اسلوب ردها ؛ وجدت انها تتبنى اساليب توبيخ لا محاولة تصحيح ! وكان الدكتور مصطفي محمود ما كتب في حياته غير كتاب (الشفاعة) ؛ او كان كتابه يحمل كفرا وليس خطا ؛ وكانه ما دافع عن الدين زمنا طويلا ؛ وكانه ما حمل بين ضلوعه قلبا موحدا بالله بعد ان قطع الطريق الشائكة فى رحلته اليه سبحانه ؛ او كانه قال فى كتابه : انا ربكم الاعلى .. فقد بدا الرجل كتابه بقوله (ما اقدمه فى هذا الكتاب هو محاولة لفهم واجتهاد قد يصيب وقد يخطيء) .. ولست هنا دفاعا عنه ولا ضده ؛ ولكن للرد على ما ورد بكتابه بشكل قد يكون مغايرا عن كل ما قراته ..

وقد يكون في كتابي هذا عِدة أخطاء ؛ ولكن ساعتها يكون حسبي منه أني اجتهدت فيه قدر طاقتي وجعلته ابتغاءَ وجه ربي .

{ قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (المائدة: ١١٩) .

محمد فيّاض





دار إيزيس للفنون والنشر